السنة الاولى العدد ١٦ ١٥ آب سنة ١٨٩٨

المشرق

اسواق العرب ايام الجاهلية

لجناب الاديب المحقق محمود شكري افندي الآلوسي احد افاضل علماء المسلمين في بغداد

كان للعرب اسواق يقيمونها في شهور السنة وينتقلون من بعضها الى بعض ويحضرها سائر العرب بما عندهم من المآثر والمفاخر. منها: (دُومَةُ الجَنْدَلِ) كانوا ينزلونها اول يوم من ربيع الاوّل يجتمعون في أسواقها للبيع والشراء والاخذ والعطاء. وكانت المبايعة فيه بيع الحصاة. وهو من بُيوع الجاهلية التي ابطلها الاسلام. وفُسّر بان يقول احد المتبايعَين للآخر: ارمِ هذه الحصاة فعلى ايّ ثوب وقعت فهو لك بدرهم. وفُسّر بان يبيعهُ من ارضهِ قدر ما انتهت اليهِ رمية الحصاة. وفُسّر بان يقبض على كفٍّ من حصىً ويقول: لي بعدد ما خَرَج في القبضة من الشيء المبيع او يبيعهُ سلعة ويقبض على كفٍّ من الحصى ويقول لي بكل حصاة درهم. وفُسّر بان يمسك احدهما حصاة في يدهِ ويقول: ايّ وقت سقطت الحصاة وجب البيع. وفُسّر بان يتبايعا ويقول احدهما: اذا نبذت اليك الحصاة فقد وجب البيع. وفُسّر بان يعترض القطيع من الغنم فيأخذ حصاة ويقول: ايّ شاة اصابتها فهي لك بكذا. وهذه الصور كلّها فاسدة لما تتضمَّن من اكل المال بالباطل ومن الغرور والخطر الذي هو شبيه بالقمار ولذلك ابطلتها الشريعة. وكان أُكَيدر صاحب دومة الجندل يحمي الناس ويقوم بامرهم اوّل يوم فتقوم سوقهم الى نصف الشهر. وربّما غلب على السوق بنو كلب فيعشوهم ويتولّى امرهم يومئذٍ بعض رؤساء بني كلب فتقوم سوقهم الى آخر الشهر.

ومنها: (سُوقُ هَجَرٍ) بفتح الهاء والجيم اسم لجميع ارض البحرين ومنهُ المثل: كمُبْضِع تمرٍ الى هجر. وقول عمر بن الخطّاب رض: عجبت لتاجر هجر. كانهُ اراد لكثرة وبائهِ او لركوب البحر. وسمّي بهذا الاسم بلد باليمن بينهُ وبين عثّر يوم وليلة. مذكّر مصروف وقد

يونث والنسبة هَجَرِيّ وهاجِرِيّ . والسوق الموضع الاوّل كانوا ينتقلون اليها في شهر ربيع الآخر فتقوم سوقهم بها . وكان يعشوهم ويتولّى امرهم المنذر بن سارى احد بني عبد الله ابن دارم

ومنها : (سُوقُ عُمان) كغُراب ذُكر في القاموس انها بلد باليمن . ويُصرف . وكشدّاد بلد بالشام ولم يذكر الموضع الذي كان سوقًا . وهو في ارض البحرين كانوا يرتحلون من سوق هجر فتقوم سوقهم بها الى اواخر جمادى الاولى

ومنها : (سُوقُ المُشَقَّر) كمعظَّم حصن بالبحرين كان فيه سوق للعرب تقوم من اوّل جمادى الأخرى وكان بيعهم بالملامسة والايماء والهمهمة خوف الحَلف والكذب . والهمهمة الكلام الخفيّ وكلّ صوتٍ معهُ بَحَحٌ . وبيع الملامسة على اوجهٍ وهي ان يُؤتى بثوب مطويّ او في ظلمة فيلمسهُ المستام فيقول لهُ صاحب الثوب : بِتُكَهُ بكذا بشرط ان يقوم لَمسُكَهُ مَقامَ نظرك ولا خيار لك اذا رأيتهُ . الوجه الثاني : ان يجعلا نفس اللمس بيعًا بغير صيغة زائدة . الوجه الثالث : ان يجعلا اللمس شرطًا في قطع خيار المجلس وغيرهِ . وهو ايضًا من البُيوع التي ابطلها الاسلام كبيع المُنابذة . وهو ان يجعلا نفس النبذ بيعًا كما تقدَّم في الملامسة . او ان يجعلا النبذ بيعًا بغير صيغة . او ان يجعلا النبذ قاطعًا لخيار

ومنها : (سُوقُ صُحَار) بضمّ الصاد المهملة تقوم لعَشر يمضين من رجب الفرد خمسة ايام . ومنها : (سُوق الشِّحْر) بفتح ثمّ سكون ساحل البحر بين عمان وعدن تقوم في النصف من شعبان . وكان بيعهم في هذه السوق ايضًا برمي الحصاة وإلقاء الحجارة كما في سوق دومة الجندل

ومنها : (سُوقُ عَدَنِ أَبْيَنَ) كانوا يرتحلون من الشحر فينزلون هذا الموضع . وعدن جزيرة في اليمن اقام بها أَبْيَنُ فنُسِبَت اليه فتقوم سوقهم بها الى الأيام من رمضان فتشترى التجارات وانواع الطيب . ومنها : (سوق صَنْعاء) كانوا اذا ارتحلوا من عدن والشحر تقوم سوقهم بصنعاء في النصف من شهر رمضان الى آخره . وصنعاء من اطيب بلاد اليمن . ومنها كان يُجلَب الأَدَم والبُرُود . وكانت تجلب اليها من معافر وهو بلد كان في اليمن . ومنها : (سوق حَضْرَمَوتَ) كانت تقوم في النصف من ذي القعدة . يحضرها بعض القبائل من العرب والبعض منها يحضر سوقًا اخرى تقوم في هذه الايام ايضًا سيأتي ذكرها

ومنها : (سوق ذي المَجَاز) كانت بناحية عرفة الى جانبها . وعند الازرقي عن

هشام ابن الكلبي انها كانت لهذيل على فرسخ من عرفة . ووهم هنا صاحب الصحاح فانهُ قال فيه : ذو المجاز موضع بمنًى كان بهِ سوق في الجاهلية . لما رواهُ الطبراني عن مجاهد : أنهم كانوا لا يبيعون ولا يبتاعون في الجاهلية بعرفة ولا بمنًى

ومنها : (سُوقُ مَجَنَّة) بفتح الميم وكسرها موضع قرب مكة وهو الذي عناه بلال رض بقوله متشوقًا اليه بعد الهجرة :

وهل أردنْ يومًا مياهَ مَجَنَّةٍ وهل يبدونْ لي شامةٌ وطفيلُ

كانت تقوم سوقهم فيها قرب ايام موسم الحج . ويحضرها كثير من قبائل العرب . ومنها : (سوق حُبَاشَة) بضمّ الحاء المهملة وتخفيف الموحدة وبعد الالف شين معجمة . كانت في ديار بارق نحو قَنُونا بفتح القاف وبضم النون الخفيفة وبعد النون الف مقصورة من مكة الى جهة اليمن ولم تكن من مواسم الحج . وانما كانت تُقام في شهر رجب . ومنها : (سُوقُ عُكَاظ) بضم المهملة وتخفيف الكاف وآخرهُ ظاء معجمة بالصرف وعدمه . قال اللحياني : الصرف لاهل الحجاز وعدمهُ لغة تميم . وهو موسم معروف للعرب بل كان من اعظم مواسمهم واسواقهم . وهو نخل في وادٍ بين نخلة والطائف وهو الى الطائف اقرب بينهما عشرة اميال . وهو وراء قرن المنازل بمرحلة من طريق صنعاء اليمن . وكان المكان الذي يجتمعون فيهِ منهُ يقال لهُ الأُثَيْدَاء . وكانت هناك صخور يطوفون حولها وكانوا يتبايعون فيها ويتعاكظون ويتفاخرون ويَتَحاجَونَ . وتُنشد الشعراء ما تجدَّد لهم وقد كثر ذلك في أشعارهم . كقول حسَّان :

سأنشر ان حييتُ لهم كلامًا يُنشَر في المجامع من عكاظِ

وفيها كان يخطب كل خطيب مصقع . ومنهم قُسُّ بنُ ساعدة الايادي اذ خطب خطبتهُ الشهيرة هناك وهو على جَمَلٍ الأَوْرَق . وفيها عُلِّقت القصائد السبع الشهيرة افتخارًا بفصاحتها على من يحضر الموسم من شعراء القبائل الى غير ذلك . وكان كل شريفٍ انما يحضر سوق بلدهِ الَّا سوق عكاظ فانهم كانوا يتوافون بها من كل جهةٍ . فكان يأتيها قُرَيش وهَوازن وسليم والاحابيش وعقيل والمصطلق وطوائف من العرب . ومن كان لهُ أَسير سعى في فدائهِ . ومن كانت لهُ حكومة ارتفع الى الذي يقوم بامر الحكومة . وكان الذي يقوم بامر الحكومة في هذه السوق أُناس من بني تميم وكان احدهم الأَقرع بن حابس . ولمَّا كانت هذه السوق مجمع القبائل قال طريفُ بنُ تميمٍ العنبريُّ :

او كلّما وردت عُكاظ قبيلة بعثوا اليَّ عريفهم يتوسَّمُ
فتوسَّموني أنني أنا ذلكُم شاكٍ سلاحي في الحوادث مُعلِمُ
تحتي الأغرُّ وفوق جلدي نثرةٌ زغفٌ تردّ السيفَ وهو مثلَّمُ
حولي أُسَيدٌ والهجيم ومازنٌ واذا حلَلتُ فحَولَ بيتي خَضَّمُ
ولكلّ بكريّ لديَّ عداوة وابو ربيعة شانئٌ ومحلّمُ

وطريف هذا كان من مشاهير شجعان العرب وفرسانهم. قتل مرةً رجلًا من بني شيبان. ثم حضر ذلك الموسم فامعن فيه النظر بعض اقارب ذلك المقتول فسأله طريف عن السبب فقال: اريد ان اعرفك فلعلي اصادفك يومًا لاقتلك او تقتلني. فانشد طريف تلك الابيات. وقد صادف ذلك الرجل طريفًا في يوم من ايامهم فقتله واخذ منهُ ثأر قريبهِ

وكانت بعكاظ وقائع مرةً بعد مرةٍ ولذلك يقول دريد بن الصمَّة:

تغيبتُ عن يومَي عكاظ كليهما وان يكُ يومٌ ثالث اتغيَّبُ
وان يكُ يومٌ رابع لا أكُن بهِ وان يكُ يومٌ خامس اتجنَّبُ

وذكر ابو عُبيدة أنهُ كان بعكاظ اربعة ايام. يوم شَمطة ويوم العبلاء ويوم شَرِب ويوم الحريرة وهي كلها من عكاظ قال: « فشمطة » من عكاظ هو الموضع الذي نزلت فيه قريش وحلفاؤها من بني كنانة بعد يوم نخلة. وهو اول يوم اقتتلوا فيهِ من ايام الفجار تجول على ما تواعدت عليهِ مع هوازن وحلفائها من ثقيف وغيرهم. فكان يوم شمطة لهوازن على كنانة وقريش. ولم يُقتل من قريش احدٌ يذكر واعتزلت بكر بن عبد مناة بن كنانة الى جبل يقال لهُ دَخَم فلم يُقتل منهم احدٌ. وقال خداش بن زهير:

فابلغ ان بلغتَ بهِ هشامًا وعبد الله أبلغ والوليدا
بأنّا يوم شمطة قد أقمنا عمود الدين انّ لهُ عمودا

ثمَّ التقى الاحياء المذكورون على رأس الحول من يوم شمطة « بالعبلاء » الى جنب عكاظ فكان لهوازن ايضًا على قريش وكنانة. قال خداش بن زهير:

ألم يبلغكمُ انّا جدعنا لدى العبلاء خندفَ بالقيادِ
ضربناهم ببطن عكاظ حتى تولّوا طالعين من النجادِ

ثم التقوا على رأس الحول وهو اليوم الرابع من يوم نخلة « بشَرِب » وشَرِب من عكاظ. ولم يكن بينهم يوم اعظم منهُ فحافظت قريش وكنانة وقد كان تقدَّم لهوازن عليهم

يومان . وقيّد ابو سفيان وحربٌ ابنا أميّة وابو سفيان بن حرب انفسهم . وقالوا لا يبرح منا رجل مكانهُ حتى يموت او يظفر . فانهزمت هوازن وقيس كلها الَّا بني نصر فانها صبرت مع ثقيف . وذلك ان عكاظ بلدهم لهم فيه نخل وأموال فلم يغنوا شيئاً ثم انهزموا وقُتلت هوازن يومئذٍ قتلاً ذريعاً . قال أُمية بن اسكر الكناني :

ألا سـائل هوازن يوم لاقوا   فوارسَ من كنانة مُعلَمينا
لدى شَرِب وقد جاشوا وجشنا   فاوعب في النفير بنو ابينا

وقال :

قومي اللذو بعكاظٍ طيّروا شررًا   من درس قومك ضربًا بالمصاقيل

ثم التقوا على رأس الحول « بالحُرَيرَة » وهي حرَّة الى جنب عكاظ مما يلي مهب جنوبها . فكان لهوازن على قُريش وكنانة . وكانت تقوم هذه السوق في قولٍ أوَّل ذي القعدة الى عشرين منهُ ثم يتوجهون الى مكَّة فيقفون بعرفات ويقضون مناسك الحج ثم يرجعون الى اوطانهم . وفي قولٍ آخر انهم كانوا يقيمون بهِ جميع شوَّال . الى غير ذلك من الاقوال المختلفة ولعلَّ ذلك لاختلاف العادة في السنين او لاختلاف القبائل في الاقامة في هذا الموسم . والذي عليهِ صاحبُ قبائل العرب انهم كانوا يقيمون في هذه السوق من نصف ذي القعدة الى آخرهِ فاذا أَهلَّ ذو الحجَّة اتوا ذا المجاز وهو قريب من عكاظ على ما سبق فتقوم سوقهُ الى التروية وهو اليوم الثامن من ذي الحجَّة سُمّي بيوم التروية لأنهم كانوا يرتوون فيهِ من الماء لما بعد . او لأنَّ ابرهيم عليه السلام كانَ يتروَّى ويتفكَّر في رؤياهُ فيهِ . وفي التاسع عُرِفَ وفي العاشر استُعمِلَ . ثم يصيرون الى منى وتقوم (سوق نطاة) بخيبر ونطاة عين او حصن بخيبر . (وسوق حَجر) بفتح المهملة وسكون الجيم يوم عاشوراء الى آخر المحرَّم . ولم تزل هذه الاسواق قائمة في الاسلام الى ان كان اوَّل ما تُرك منها سوق عكاظ في زمن خروج الخوارج الحروريَّة بمكَّة مع المختار بن عوف سنة تسع وعشرين ومائة فنهبوها فتُركت الى الآن . واتخذت سوقًا بعد الفيل بخمس عشرة سنة . وكان آخر ما تُرك من الأسواق المذكورة سوق حُباشة في زمن داود بن عيسى بن موسى العبَّاسي في سنة سبع وتسعين ومائة . والله اعلم بحقائق الامور

فائدة في اسواق العرب

الحقها بالمقالة السابقة حضرة الاب انستاس البغدادي الكرملي

كلّ من تكلّم عن اسواق العرب. أغضى عن مسألةٍ ذات شأن وبالٍ وعجب. وهي كيف كان يمكن للناطقين بالضاد بل وباحسن الالفاظ. ان يشهدوا سوق عكاظ. التي تقوم فيها المسابقات والمفاخرات. والمقايضات والمذاكرات. على ساقٍ مسوقة. بين الاكابر والسوقة. وليس فيهم وازعٌ يزعهم. او رادعٌ يردعهم. مع ما هم عليهِ من الحدّة والاستئثار. وطلب الانتقام بالثار او الثأر. وبالاخصّ لمّا كانت الحرب عندهم لا تضع أوزارها على مدى السنة. بل ولا تعرف نوماً ولا سِنة. اذ إنها ان لم تكن في هذا البطن او في هذه القبيلة. فهي في ذلك الفخذ او تلك الفصيلة. وان هذه البطون والقبائل. لا تخاف النوائل. فهي امّا متحالفة مع القاتل الظلوم او الجهول. وامّا متفقة مع اهل المقتول. فكيف اذًا يمكن لأصحاب الطرفين ان يجتمعوا سويّة. بدون ان تجيش في انفسهم تلك العوامل القويّة. الدائمة السؤور فيهم. المتسلطة كلّ التسلّط عليهم. كيف مثلًا كان يمكن للبطل الطالب بدم ابيهِ. او ابنهِ او اخيهِ. ان يلاقي عدوهُ في تلك السوق. ويبقى امامهُ كالرجل الموثوق. بدون حِراك. او عِراك. بل ربّما تماكظ معهُ. وسيمهُ. بل ربّما ايضًا سمع الثناء على عدوهِ. لما اتاهُ من الاعمال فزاد في عُلوّهِ وسُموّهِ. ولعلّهُ قبل ذلك. فتش على قتلهِ بتهلكة من التهالك. فذهبت اتعابهُ ادراج الرياح. لا بل جاءت لهُ بالخسار بدون شيء من الارباح. واليوم يُصادفهُ ولا يتعرّض لهُ كأنهُ عاجز او جبان. مع ان قتلهُ واجب عليهِ في مدة محدودة من الزمان. والّا يُعدّ من اخسّ الطغام. او من الاوغاد اللئام. أفكان اذًا يزول دم العرب من عروقهم. في هذا موسمهم

تلك معضلة تبان كأنها أعقد من ذنب الضبّ. حتى على من أُوتوا النباهة من قرّاء هذه المجلّة من عجم او عرب. مع انّ اهل الجاهليـة. قد وُفقوا الى حلّها بما نثبتهُ من الادلّة الجليّة:

١ً ان الفرسان كانوا يتبرقعون خشية سوء العقبى والشاهد على ذلك ما جاء في حواشي «تهذيب الالفاظ» (الصفحة ١٧١) (١ ما نصّهُ: «كانت الفرسان في الجاهلية

---

١) تهذيب الالفاظ هو الكتاب النفيس لابن السكّيت الذي اتهينا من طبعهِ منذ عهد قريب في

عند اجتماع الناس بعكاظ في وقت الحج يتجرون لئلاَّ يُعرف من قد اصاب من الدماء . فاتى (طريف ابن تميم العنبري) سوق عكاظ فرأى قوماً ينظرون بوجهه وكان من مقدمي الفرسان لحسر اللثام وقال ابياتاً منها هذا .... (راجع ص ٨٦٨) »

٢° اما في انشاد الشعر وارتجاله او ما كان من هذا القبيل ففي اغلب الأحيان ما كان يُسمع صوت الخطيب او الشاعر اذا كان ممَّن يخاف الفضيحة بل كان يصل كلامهُ الى القوم بواسطة رجُل يسمّونهُ المبلّغ يقف بجانب الخطيب او الشاعر ويكرّر محضود ما كان يلقنهُ اياهُ صاحبهُ . غير انَّ هاتين العادتين ما كانتا تجريان دائماً بل كانتا تختلفان لانهما بذاتهما ما كانتا تتمان سوء العقبى . فكان لجاهلية واسطة اخرى لمنع استشراء الشر وتفاقمهِ وهي التي ذكرها الاصبهاني في كتاب الاغاني (المجلد الرابع ص ٢٥٥) قال:

٣° « وكانت العرب اذا قدمت عكاظ دفعت اسلحتها الى ابن جدعان حتى يفرغوا من أسواقهم وحجهم . ثم يردُّها عليهم اذا ظعنوا وكان سيّداً حكيماً مثرياً من المال » . اه . وربَّما كان قبل ابن جدعان غيرهُ وغيرهُ جرياً على العادة التي أجروها مجرى السُّنَّة

الاعلام العربية باللغات الاجنبية

لجناب الاديب الامير شكيب ارسلان

نصُّ ما ارتآهُ المستشرق نلينو (راجع المشرق ص ٨١١) معلّم العربية في مدرسة اللغات الشرقية في نابولي من جهة وضع معجم لاسماء البلاد استدراكاً لآفة التحريف والتشويه الفاشية في نقل اسماء الاماكن . وذلك انَّ بعض هذه الاسماء خصوصاً ما لم يشتهر منها اذا كتبها الفرنجة بلغاتهم وضعوها على شكل يبعد عن اصلهِ لعدم تهيّؤ الاحرف الافرنجية لاستيعاب جميع صور اللفظ العربيّ . ثم قد لا يُتاح لكاتب معرفة اصل هذه الاسماء بالعربية لعدم اطلاعه عليها في كتب العرب او عدم مشافهتهِ جيران تلك المسمَّيات فيلتزم اخذها من كتب الافرنج ويردّها الى العربي حسبما يظن انهُ اصلها او الاقرب لان

مطبعتنا . اما حواشيه فهي للشيخ الامام ابي زكريا يحيى التبريزي شارح الحماسة (المشرق)

يكون اصلها. فاذا اصاب المرمى مرّةً اخطأ مرارًا واذا جاء ببعض الاسماء الترجمة موافقة لاصلها جاء بالبعض الآخر بينهُ وبين الاصل مسافة ما بين المشرق والمغرب كما في « وادي حَمد » و« وادي الحَمْض » و« قلعة بيشة » و« قلعة بجا » وغير ذلك

وقلّما سلم من الوقوع في هذا الغلط احد ممن عانى صناعة التعريب مهر مزلّة اقدام المعرّبين خصوصاً الذين يشتغلون منهم بالتاريخ والجغرافية في هذه الأيام فأنهم مضطرّون الى مراجعة كتب الافرنج ولو كان فيما يبحث عن احوال العرب صِرفًا وذلك استزادةً من التمحيص ومبالغةً في التدقيق وتعويلًا على اكتشافات القوم التي عمّت الاقاصي والاداني. فيعثرون على اسماء اماكن واشخاص مكتوبة بالافرنجية ان لم يساعدهم على معرفة اصلها تبحّرٌ عندهم في لغة العرب وسعة اطّلاع لهم على تاريخهم وجغرافيتهم جاءوا بترجمتها مقلوبة بعيدة عن اصلها نائية عن حقيقتها مما قد يندمج في طور الرقاعة وينقلب احيانًا الى الضحك اذا كان المترجم قليل الاطلاع. فقد عرفتُ من الدارسين اللهمَّ الذين لا خَلاق لهم من العربية مَن كان يترجم (Averroes) بافرويز ويقول الفيلسوف العربيّ افرويز. ولو كان ذا اقلّ المامٍ لعلم أنهم يريدون بهذا اللفظ ابن رشد. ومثل ذلك ما ورد في ترجمة تاريخ للصليبية وهو (سلادينوس) اي صلاح الدين والظاهر ان الحامل للمترجم على هذه الترجمة كونهُ قرأ اسم صلاح الدين مكتوبا (Saladin) حسبا يلفظهُ الافرنج فتوهّم انّ هذا من الاسماء التي تختم بحرفَي (وس) اتباعًا للقاعدة اللاتينية وهو فيما يظهر املس من علم التاريخ الاسلاميّ فظنّ انّ الاصل في (سلادين) هو (سلادينوس)

ولم ينحصر هذا الوهم فيمن قلّ اطّلاعهُ كصاحب (سلادينوس) بل ربّما وقع فيه ارباب الاطّلاع والمعروفون بطول الباع ومنشأ ذلك عدم وصولهم الى اصول تلك الاسماء وغيبة حقائقها عنهم ولقد عاينت من هذه الاسماء شدّةً في رواية « آخر بني سراج » وذيلها لكثرة ما تتناوح الاعلام الاندلسية هناك بين العربية والاسبانيّة فوفقني الله بعد الامعان الطويل الى تحقيق اكثرها ولكنني لا ازال في ريبة مما لم اجد ما يقاربهُ في العربيّ مما تنطبق عليه علامتهُ الجغرافية لاسيما بعد ان تأمّلت كثيرًا من الاسماء التي حقّقتُ أنها هي هي على ما بين لفظيها العربيّ والافرنجي من البون البعيد

ولقد عرفت دخول هذا الوهم على بعض ذوي القدَم الراسخ في الادب مثل الوزير

الفاضل المرحوم ضياء باشا الشاعر المشهور الذي دلَّت تآليفهُ على وفرة علمهِ وغزارة فضلهِ .
فمما جاء في تاريخهِ للاندلس قولهُ محلّة «البيضائين» عن محلّة «البيازين» احدى محالّ
غرناطة . ومنهُ خلطهُ بين « غادس » و « غوادس » فان الاولى ترجمة « قادس » محلٌّ مشهور
والثاني ترجمة « وادي آش » المسمَّى ايضًا وادي الأشات فظنَّ الاثنين شيئًا واحدًا . واخذ
يترجم وادي آش بقادس فانقلب المعنى وفُهم من كلامهِ انَّ قادس ذهبت من اليد قبل
غرناطة بقليل وانَّها كانت كرسيًّا لابي عبدالله الزغل لعهد السقوط . والحال خلاف ذلك .
وانما التي ذهبت قبل غرناطة بقليل وكانت مركزًا للسلطان المذكور هي وادي آش . ولهُ رحمهُ
الله عدا ذلك اغلاط أُخر وقد اوردنا هاتين على سبيل التمثيل

وانجع علاج لهذا الداء تأليف مُعجم للاعلام يجمع اكثر ما يمكن جمعهُ من اسم
رجل ومدينة وجبل ونهر وغير ذلك مشارًا الى كلٍّ بعلامتهِ في محلّهِ لئلاَّ يقع الوهم فيهِ
والخلط بينهُ وبين غيرهِ . ولا يستغني مع ذلك الكاتب او المترجم عن علم العربية ومعرفة
التاريخ فقد يخلط في ضمنهِ بين العَلَم والصفة كما رأيتهُ في احد التواريخ الحديثة وهو الذي
كتبهُ صاحبهُ بلغتين وترجم فيهِ القاب احد السلاطين التي منها « قسيم امير المؤمنين »
فظنهُ من اسماء السلطان المشار اليهِ وحسب انَّ اسمهُ « قاسم » كما يظهر ذلك من الترجمة
الافرنجية

وافضل الاعتماد في هذا الامر بعد الكتب على مشافهة اهل الحي والبلاد الجاري البحث
عن مسمَّياتها فهم اعلم باسماء بلادهم . وقد كنت في اوائل عهد المنارة عرَّبت تاريخًا
لبلاد الجزائر واخبار المرحوم الامير عبد القادر فوجدت فيهِ كثيرًا من الاعلام من اسماء
قبائل واماكن لم ادرِ تمامًا ما حقيقة اصلها فقيَّدتها كلَّها في فهرس معي وعرضتُ على حضرة
العلاَّمة الشريف السيّد محمد مرتضى الحسني الجزائري ابن اخي المرحوم الامير عبد القادر
واحد علماء المغرب في المشرق . فحقَّق لي الفاظها وهكذا امكنني ردَّها الى اصلها لانَّهُ ان
امكنت معرفة الاعلام الشهيرة مثل (اوران) بانها (وهران) فكيف تمكن بدون
موقف معرفة (اين مدهى) بانها (عين ماضي) وهلمَّ جرًّا

تمسُّ الحاجة اذًا الى معجم تلك صفتهُ ضنًّا بشأن العلم والعلماء ووفاء مع الكتابة
والكتَّاب وتخلُّصًا من اخذ اسمائنا عن لسان الافرنجي الذي انتقى منهُ الحاء والخاء والقاف
والعين وتمكنت العداوة بينهُ وبين كثير من الحروف

كتاب النبات والشجر للاصمعي

عني بنشرهِ الدكتور اوغست هَفْنَر

(تابع لما سبق)

[ما يَنْبُتُ في السَّهْلِ]

(وَمِمَّا يَنْبُتُ فِي السَّهْلِ) اَلْعَرْفَجُ[1]، وَاَلْغَضْرُ[2] وَاحِدَتُهُ اَلْغَضْرَةُ، وَاَلنُّغْضُ[3] وَاحِدَتُهُ نُغْضَةٌ، وَاَلْاَفَانِي[4] وَاحِدَتُهُ اَفَانِيَةٌ، وَاَلسُّطَّاحُ[5] وَاحِدَتُهُ اَلسُّطَّاحَةُ، وَاَلْفَنَا وَهُوَ عِنَبُ اَلثَّعْلَبِ، وَاَلْحَلَمَةُ[6] فَاِذَا يَبِسَتْ فَهِيَ اَلْحَمَاطَةُ[7]، وَاَلرَّاءُ[8] وَاحِدَتُهُ رَاءَةٌ وَلَهَا ثَمَرَةٌ بَيْضَاءُ، وَاَلشِّبْرِمُ[9]،

١) مرّ ذكرهُ (ص ٢٥٠) ٢) جاء في كتب اللغة ان الغَضْرة نبتٌ ولم تَرِد ايضاحاً. ولعلّها هي الغَضْوَرة وهو نبات يشبه الثُّمام وقيل يُشْبِه السَّبَط. وفي الاصل: النَضر بالنون وهو تصحيف

٣) قال صاحب اللسان: النُّغْضَة شجر من العِضاه سَهْليّ وقيل هو بالحجاز وقيل ان لهُ شوكًا يُستاك بهِ

٤) وصفهُ ابو حنيفة قال: الأفانِي من العشب وهي غبراء لها زهرة حمراء وهي طيّبة تكثر ولها كلأ يابس. وقيل الافانِي شيء ينبت كانهُ حَمَضةٌ يُشبَّه بفراخ القطا حين يشوّك يبدأ بقلةً ثم يصير شجرة خضراء غبراء. وقيل انّ الافانِي نبتٌ ما دام رطبًا فاذا يبس فهو الحَماط وقيل انهُ هو عنب الثعلب واحدتها أفانيَة (cfr. L. 172)

٥) قال في اللسان: السُّطَّاح نَبْتة سُهلِيَّة تنسطح على الارض واحدتهُ سُطَّاحة وقيل السُّطاحة شجرة تنبت في الديار في اعطان المياه متسطّحة وهي قليلة وليست فيها منفعة. قال الازهريّ: هي بقلة ترعاها الماشية وتُغسل بورقها الرؤوس

٦) قال ابو حنيفة: هي نبتٌ دون الذراع لها ورقة غليظة وافنان وزهرة كزهرة النمان الّا انّها اكبر واغلظ. قال الازهري: هي الحماطة وقيل بل هي شجرة السَّعْدان وهي من افاضل المرعى (راجع ص ٥١٢)

٧) هو نبات مثل الصِّلِيان الّا انّهُ خَشِن المسّ وقد تقدَّم انهُ هو الأفاني اذا يَبِس وانّ الازهري زعم بان الحَلَمة والحماط واحد. والحَماطة ايضاً شجرة الجمَّيز سيأتي ذكرها

٨) قد اختلف الكَتَبة في وصف الرَّاء فقيل انهُ شجر سُهْلي ذو ثمر ابيض وقيل انهُ شُجيرة جبليَّة كانّها مظلمة ولها زهرة بيضاء ليّنة كانّها القطن. وقيل هو شجر اغبر لهُ ثمر احمر

٩) وصفها في اللسان عن ابي زيد بقولهِ انّها شجرة شاكّة ولها ثمر نحو التَّمْر وهو الحمض

وَٱلسَّرْحُ (١)، وَٱلعَرَارُ وَهُوَ بَهَارُ ٱلبَرِّ (٢) وَأَنْشَدَ:

يَمُنَا، شَحُوَتُنَا وَصُفْرًا، ٱلعَشِيَّةَ كَٱلعَرَارَةِ (٣

(قَالَ أَبُو عَمْرٍو : أَحْسَنُ بَيْتٍ وُصِفَ بِهِ ٱلأَلْوَانُ هٰذَا ٱلبَيْتُ) وَٱلجُنْجَاثُ (٤) وَهُوَ شَبِيهٌ بِٱلقَيْصُومِ (٥)، وَٱلمَكْرُ (٦)، وَٱلسَّكْبُ (٧)، وَٱلقَرْنُوَةُ (٨)، وَٱلحُلَّبُ (٩)، وَٱلخِلْبَلَابُ (١٠)،

في لونهِ ونِبْتَتِهِ ولها زهرة حمراء. قال ابو حنيفة. انّها تسمو على ساق لها ورق طوال رقاق وهي شديدة الخضرة (B., L., Euphorbia; Lc., Euphorbia pityusa)

١) هذا وصف السَّرْح عن ابن منظور: السَّرْح شجر كبار وعظام طوال لا يُرْعَى وانّما يُستظَلّ فيهِ وينبتُ بنجد في السَّهْل والغَلْظ ولا ينبت في رمل ولا جبل ولا يأكلهُ المال الّا قليلًا لهُ ثمر اصفر يقال لهُ الآءَ يُشبه الزيتون. وقيل انّهُ دون الأَثْل في الطول وورقهُ صغار وهو سبط الافنان

٢) العَرَار نبت طيّب الرائحة. قال ابن برّي: وهو النرجس البرّي (B., L., Asteriscus graveolens, Buphtalmum graveolens Forsk.)

٣) ويروى: غدوتها. البيت للاعشى يصف بهِ امرأةً تبيضُ صباحاً ببياض الشمس وتصفرُّ عشيّةً باصفرارها فتُضحي كالعرارة

٤) وفي الاصل الجثحاث وهو تصحيف. قال ابو حنيفة: الجُنجاث من احرار الشجر وهو اخضر ينبت بالقيظ لهُ زهرة صفراء كانّها زهرة العَرْفجة طيّبة الريح

٥) قيل انّ القيصوم نبات طيّب الرائحة من رياحين البرّ وورقهُ هَدَب ولهُ نَورة صفراء وهي تنهض على ساقٍ وتطول (Lc., Aurone, Artemisia pontica, A. arborescens, A. abrotanum, [Santolina fragrantissima Forsk.]

٦) المَكْر نبتٌ الى الغُبرة يَنْبتُ قَصَدًا في طعمهِ حموضة اذا مُضغ وهو ينبت في السهل والرمل لهُ ورق وليس لهُ زهر ٧) مرَّ ذكرهُ (ص ٦٦٤)

٨) قيل انّهُ نبات عريض الورق وورقهُ اغبر يشبه الحندقوق. وصفهُ ابو حنيفة عن ابن زياد. قال: ومن العُشْب القَرْنُوة وهي خضراء غبراء على ساقٍ يضرب ورقها الى الحمرة لها ثمرة كالسُّنْبُلة وهي مرّةٌ يُدبَغ بها الاساقي. وزاد ابو حنيفة انّ لها حبًّا اكبر من الحِمَّص فاذا جُشّ خرج اصفر فيُطبَخ كما تطبخ المريسة فيُؤكل ويُدّخر للشتاء

٩) جاء في الاصل خُلَّب بالتصحيف. والحُلَّب نبتٌ ينبسط على الارض ويلزق بها حتّى يكاد يسوخ تأكلهُ الشاء والظباء. وعليهِ تَحتبِل الظباء وهو اخضر تدوم خضرتهُ. لهُ ورق صغار ويُدبَغ بهِ ١٠) صُحّف في الاصل بحِلبلاب. والخِلِبلاب من النبات الذي تدوم

وَٱلزَّنَمَةُ[١]، وَٱلشُّكَاعَى[٢]، وَٱلزُّبَادُ[٣]، وَٱلقُّدَّاءُ[٤]، وَٱلضَّنَابِيسُ[٥] وَهُوَ نَبْتٌ ضَعِيفٌ يُشَبَّهُ بِهِ ٱلضَّعِيفُ مِنَ ٱلرِّجَالِ يُقَالُ: رَجُلٌ ضُنْبُوسٌ وَرِجَالٌ ضَنَابِيسُ، وَٱلتَّنَارِيرُ[٦]، وَٱلصَّبْنَاءُ[٧] بَقْلَةٌ بَيْضَاءُ ٱلثَّمَرِ، وَٱلْحَصَادُ[٨] نَبْتٌ، وَٱلْجَدَرُ[٩]، وَٱلْيَنَاءُ مِثْلُ ٱلثُّمَامِ[١٠]. (وَمِنَ ٱلنَّبْتِ)

خضرتهُ في القيظ كالحُلَّب ولهُ ورق اعرض من الكف وهو نبات سُهلي تسمن عليهُ الظباء والنعم (B., Hedera Helix L.)

١) الزَّنمة نبات سُهلي ينبت على شكل زَنَمة الأُذن لهُ ورق وهو شرّ النبات . اما الزُّنْمة بضم فسكون فشجرة لا ورق لها كانَّها زنمة الشاة

٢) عن ابي حنيفة انَّ الشُّكاعى من دِقّ النبات وهي دقيقة العيدان صغيرة خضراء والناس يتداوون بها . قال الازهري : رأيتُ الشُّكاعى بالبادية وهي من احرار البقول ذات شوك منبتها مثل منبت الحُلّاوى وزهرها حمراء (Lc., Onopordon arabicum Spina arabica) ورقها صغير مثل ورق السَّذاب وزهرها حمراء

٣) مرَّ ذكرهُ (٥١٢)

٤) جاء وصفها في لسان العرب انّها نبتٌ لهُ ورق كانَّهُ ورق الكُراث وقُضبان طوال تدقُّها الناس وهي رَطبة فيتخذون بها اَرْشية يستقون بها . وهي طيّبة يأكلها المال واصولها بيض حُلوة لها نَوْر مثل نور الخِطْمِيّ الابيض في اصلها شيء من حمرة يسيرة ينبت في اضعافهِ الطَّراثيث والضنابيس

٥) قال في اللسان : الضُّنْبوس نبتٌ في اصول الثُّمام يُشبه الهِلْيَوْن يُسلَق بالخلّ والزَّيت ويؤكل (Lc., Plante épineuse, Asclépias ?) . وقال ابو حنيفة : انَّ الضنبوس هو نبات الهِلْيَوْن سواء (Asperge)

٦) وفي الاصل : الثمارير . ونظنّ انَّ الصواب « التنارير » وهو ضربٌ من البطيخ طيب الرائحة مُعلم بخطوط حمر وصفر

٧) قال ابو حنيفة : الصَّبْناء شجرة شبيهة بالضَّمة تألفها الظباء بيضاء الثمرة . وعن الاعراب انَّها مثل الثُّمام . (وقال) انَّ الطاقة النضَّة من الصبناء حين تطلع الشمس يكون ما يلي الشمس من اعاليها ابيض وما يلي الظلّ اخضر كانَّما شُبّهت بالنعجة الصبناء . ويروى : العبناء والضبناء وكلاهما غلط

٨) روي عن الاصمعي انَّ الحصاد نبت لهُ قصب ينبسط في الارض ورُيَيْقَةُ على طرف قَصَبهِ . وقال ابو حنيفة : انَّهُ يُشبهُ السَّبَط

٩) وفي الاصل : الحرر . ونظنُّهُ الجدَر وهو ضرب من الحبوب

١٠) كذا في الاصل ونظنُّهُ مصحفًا

اَلثُّمَامُ (١ وَالْوَاحِدَةُ ثُمَامَةٌ . وَاَهْلُ نَجْدٍ يُسَمُّونَهُ اَلْجَلِيلَ (٢ اَلْوَاحِدَةُ جَلِيلَةٌ . قَالَ اَلشَّاعِرُ :

اَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ اَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِوَادٍ وَحَوْلِي اِذْخِرٌ وَجَلِيلُ (٣

قَالَ اَبُو بَكْرٍ: اَهْلُ اَلْعَالِيَةِ يُسَمُّونَ اَلثُّمَامَ اَلشُّبْهَانَ (٤، وَمِنْهُ اَلضَّمَّةُ (٥، وَالنَّرَفُ (٦، وَالضَّهْيَا (٧ وَاحِدَتُهَا ضَهْيَأَةٌ

(وَمِمَّا يَنْبُتُ بِالْحِجَازِ اَلْاَزْنَبَةُ (٨، وَالْقَرْمَلَةُ (٩ وَهِيَ شَجَرَةٌ ضَعِيفَةٌ كَثِيرَةُ اَلْمَاءِ تَنْفَضِحُ اِذَا وُطِئَتْ . قَالَ اَبُو النَّجْمِ :

يَخْضِنَ مُلَاّعًا كَذَاوِي اَلْقَرْمَلِ (١٠

(وَرَوَى اَبُو بَكْرٍ: يَخْبِطْنَ) . وَمَثَلٌ مِنَ اَلْاَمْثَالِ: ذَلِيلٌ عَاذَ بِقَرْمَلَةٍ ،

---

١) الثُّمام نبتٌ ضعيف لهُ خُوصٌ تُسَدُّ بهِ خَصاص البيوت وهو أنواع فنها الضَّمَّة ومنها النَّرَف وهو شبيه بالأسل وتُتَّخذ منهُ المكانس ويُظَلَّل بهِ المُزاد فيُبرَّد الماء (Lc., Panicium)

٢) الجليل هو الثُّمام اذا عَظُمَ وجلَّ

٣) البيت لبلال الشاعر . وروى الازرقيّ (ص ١٢٩): ليلةً بفخٍ . والإذخر حشيش طيب الريح مرَّ ذكرهُ (ص ٦٤٦)

٤) الشُّبُهان ضَرْب من العضاه وقيل هو الثُّمام او شبيهٌ بهِ (Lc., Paliure)

٥) الضَّمّة شجر من الحَمْض

٦) النَّرَف والنَّرْف نوعٌ من الثُّمام او هو الثُّمام بعينهِ . قال ابو منصور : والنَّرَف الذي بهِ تُدبغ الجلود معروف من شجر البادية

٧) الضَّهْيَأة شجرة مثل السَّيال وجَناتُهما واحد في بِنْفَةٍ وهي ذات شوك ضعيف ومَنْبتها الأودية والجبال

٨) لم يأتِ في وصفها شيء في كتب اللغة غير انَّها نُعِتت بالنبت

٩) القَرْمَلَة من دقّ الشجر لا اصل لها ولا شوك . قال ابو حنيفة : القرملة شجرة ترتفع على سُوَيقَة قصير لا تُثمّر ولها زهرة صغيرة شديدة الصفرة وطعمها طعم القُلّام

١٠) يصف بقر وحش يسير بين نبت المُلّاح وهو نوع من الحمض شبّههُ في يبسهِ ببعض القرمل

وَالْوَشِيجُ (١ نَبْتٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ لَهُ أَغْصَانٌ وَوَرَقٌ لَطِيفٌ، وَالْعَيْشُومُ (٢ نَبَاتٌ إِذَا يَبِسَ كَانَ لَهُ فِي الرِّيحِ صَوْتٌ

[فَصْلٌ فِي مَا يَنْبُتُ فِي الرَّمْلِ مِنَ الشَّجَرِ وَغَيْرِهِ]

(وَمِمَّا يَنْبُتُ فِي الرَّمْلِ مِنَ الشَّجَرِ) الْأَلَاءُ (٣ الْوَاحِدُ الْآءَةٌ. قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَنَمَةَ الضَّبِّيُّ:

فَمَرَّ عَلَى الْأَلَاءِ لَمْ يُوَسَّدْ كَأَنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَقِيلُ

وَالْأَمْطِيُّ (٤ وَلَهُ صَمْغَةٌ يَمْضَغُهَا الْعَرَبُ، وَالْغَضَا (٥، وَالْأَرْطَى (٦ وَلَهَا صَمْغَةٌ تَمْضَغُهَا الْعَرَبُ كَمَا يَمْضَغُونَ الْكُنْدُرَ، وَالْعَلْقَى (٧ شَجَرٌ تَدُومُ خُضْرَتُهُ بِالْقَيْظِ، وَالْمُصَاصُ (٨ شَجَرٌ يُتَّخَذُ مِنْهُ الْحِبَالُ، وَالرُّخَامَى (٩ نَبْتٌ

---

١) قال في اللسان: الوشيج شجر الرماح وقيل هو ما نبت من القنا والقصب معترضاً او ملتفاً ٢) العيشوم ما يَبِسَ من الحُماض. وقيل انّهُ من الحُلَّة يُشبه الثُّدَّاء. قال صاحب اللسان: والعيشوم ايضاً نبتٌ دقاق يُشبه الأَسَل تُتَّخذ منهُ الحُصُر المُصبَّغة الدِقاق وقيل انّ مَنبِتهُ الرمل ويُسمع لهُ صوت مع الريح

٣) الألاء والألا شجر مرّ المطعم يُشبه الآس ولا يزال اخضر شتاء وصيفاً وثمرتهُ تُشبه سنبل الذُّرة مَنبِتهُ الاودية والرمل ويستعمل للدباغ

٤) الأَمطيّ هو من نبات الرمل ذو ... تمدّ وتترس ولهُ صمغ يُدعى كَباثَه أمطياً

٥) قال صاحب اللسان: الغضا من نبات ... ب الأرطى ... غضا ايضاً شجر من الاثل ذو خشب صلب حسن النار يبقى طويلاً قبل ان ينطفئ يُضرَب بحرارة جمرهِ المثل (cfr. E., 268 ٦) الأرطى شجر عَبْل من شجر الرمل لهُ عروق حمر يُدبَغ بورقها. قال ابو حنيفة: هو شبيه بالغضا ينبت عصياً من اصل واحد يطول قدر قامة ولهُ نَوْر مثل نور الخلاف ورائحتهُ طيّبة (Lc., ephodra alata; cfr. E. 268

٧) العُلقى شجرة دائمة الخضرة ذات اغصان دقاق طوال وورق لطاف (B., Lc., Osyris

٨) وصف ابو حنيفة المُصاص بما حرفهُ: هو نبات ينبت خيطاناً دقاقاً غير انّ لها ليناً ومتانة ربّما خُرِز بها تُدَقّ على الفرازم حتّى تلين. وقال الازهريّ: هو نبتٌ لهُ قشور كثيرة يابسة ويقال لهُ المصاخ وهو الثُّدَّاء وهو ثَقوب جيّد واهل هَراة يسمّونهُ دِلِيزاد

٩) قيل انّهُ ضرب من الخِلفة وهي غبراء الخُضرة لها زهرة بيضاء قنبة ولها عرقٌ ابيض يأكلهُ الوحش كلّهُ لحلاوتهِ وطيبهِ اذا انتُزع حلب لبناً

فِي ٱلْأَرْضِ ٱلرِّخْوَةِ لَهَا عُرُوقٌ بِيضٌ تَتَّبِعُهَا ٱلثِّيرَانُ تَحْفِرُ عَنْهَا فَتَأْكُلُهَا

(وَمِمَّا لَيْسَ بِشَجَرَةٍ) ٱلسَّبَطُ[١]، وَٱلنَّصِيُّ[٢] يَكُونُ فِي ٱلسَّهْلِ وَٱلرَّمْلِ فَمَا دَامَ رَطْبًا فَهُوَ نَصِيٌّ فَإِذَا يَبِسَ فَهُوَ حَلِيٌّ فَإِذَا تَحَطَّمَ وَٱسْوَدَّ فَهُوَ ٱلدَّوِيلُ. قَالَ ٱلرَّاعِي:

شَهْرَيْ رَبِيعٍ مَا تَذُوقُ لَبُونُهُمْ إِلَّا حُمُوضًا وَخْمَةً وَدَوِيلَا

وَكُلُّ مَا ٱسْوَدَّ وَتَكَسَّرَ فَهُوَ دَوِيلٌ، وَٱلْغَضُورُ[٣]، وَٱلصِّلِّيَانُ[٤]. وَمِنْ كَلَامِهِمْ: جَذُّهُمْ جَذَّ ٱلصِّلِّيَانَةِ[٥]، وَٱلْعَسَالِيجُ[٦] نَبَاتٌ بِيضٌ تُشْبِهُ بِٱلْعُرُوقِ تَنْبُتُ لَهُ خُوصَةٌ، وَمِنَ ٱلنَّبْتِ ٱلْهِرْدَى[٧] (وَلَا أَدْرِي أَيُذَكَّرُ أَمْ يُؤَنَّثُ وَٱلْخُضْرَى[٨] وَٱلْهِرْدَى عِنْدَ ٱلنَّحْوِيِّينَ مُؤَنَّثَانِ وَيَجُوزُ تَذْكِيرُهُمَا)

(ستأتي البقية)

---

١) السَّبَط صنف من الحَلِيّ وقيل انَّهُ نبات كالثيل الّا انَّهُ يطول وينبت في الرمال. ونقل ابو حنيفة عن ابي زياد انَّ السَّبط من الشجر وهو سَلِب طُوالٌ في السماء دقاق العيدان تأكلهُ الابل والغنم وليس لهُ زهرة ولا شوك ولهُ ورق دقاق على قدر الكُرّاث. ويقال انَّ لهُ حبًّا يستخرجهُ الناس من اكمَّتهِ بالدقّ ويأكلونهُ خبزًا وطبخًا (L. Arum, Arisarum ; cfr. E. 268)

٢) النصيّ ضرب من الطريفة. قال في اللسان: هو نبتٌ معروف ويقال لهُ نصيّ ما دام رطبًا فاذا ابيضّ فهو الطريفة فاذا ضَخُم ويبس فهو الحليّ

٣) وفي الاصل النصور وهو تصحيف. والغضور نبتٌ يشبه السَّبَط وقيل يُشبه الضَّعَة والثمام

٤) هو ضربٌ من الطريفة اصولهُ على قدر نَبت الحليّ ومنابتهُ السُّهول والرياض. قال ابو عمرو: الصِلّيان من الجَنْبَة لنلَطَهِ وبقائهِ (Lc., Herbe fourragère)

٥) كان العرب يقولون ذلك في الرجل الذي يُقدم على اليمين الكاذبة ولا يبالي تشبيهًا بالبعير الذي يكدم الصِلّيانة بفيهِ فيجتثُّها من اصلها ليرتعيها

٦) جاء في اللسان: العساليج هَنَوات تنبسط على وجه الارض كانَّها عروقٌ وهي خُضْرٌ وقيل هو نبتٌ على شاطئ الانهار يثني ويميل من النعمه (L.,B., Leontice, Leontopetalum L.)

٧) لم يذكر اصحاب اللغة شيئًا من وصفهِ

٨) لم نجد لها ذكرًا في كتب اللغة

التوراة وجثث الفراعنة المحنَّطة في متحف الجيزة

للاب يوسف اوتفناج اليسوعي

لم يمرّ على متحف الجيزة عشرون سنةً منذ اخذت بمعاهدهُ تردان بآثار مصريَّة جمَّة اكتشفها الفرنسيُّون الذين تولّوا نظارة هذه العاديَّات. وانَّما الفضل المظيم في هذه الاكتشافات يعود خاصَّةً للعلماء المبرّزين مَسْپِرو وغريبو ودي مُرغان ولُورِه. فهم الذين أغنوا المتحف المصري بآثار عديدة اصبح مجموعها لا مثيل له في العالم اجمع كيف لا وهو يحتوي على اجسام اشهر الفراعنة الذين استولوا على مصر. وكأنَّ جثثهم المحنَّطة الملفوفة بالعصابات والمضجعة بالنواويس تنطق اليوم بلسان حالها وتُفصح عن احوال الشعوب القديمة فضلًا عن انَّها شاهد صدق عن تاريخ بني اسرائيل وصحَّة الكتب المقدسة. ونذننا هذه انَّما غايتها بيان هذه الفوائد التاريخيَّة. ونحن على يقين انَّ قرّاء المشرق يرغبون في مثل هذه المقالات التي من شأنها ان تنير العقول وتثبت روح الايمان في القلوب

١

وقبل ان نورد ما يُستفاد من نظر جثث الفراعنة في متحف الجيزة لفهم الاسفار الالهية احببنا هنا ان نلخّص لزيادة الفائدة تاريخ اكتشاف نواويس هؤلاء الملوك

بينا كان العلاَّمة مسپرو متوليًا ادارة التفتيش على العاديَّات المصريَّة في سنة ١٨٨١ اذ استدلَّ ببعض الدلائل على انَّ في الصعيد خبايا يستخرج منها عرب تلك النواحي ما شاؤوا ليبرّوا ببيعه. فجعل يتأثَّرهم ويتحرّى للاطلاع على سرّهم الى الحيلة مرَّةً والى القوَّة اخرى حتى وقف على مبتغاهُ فادخلوهُ في سرب محفور في الجبـل بقرية من دير البحري على ضفَّة النيل الشمالية بازاء الأقصر. فلمَّا ولج هذا المخبأ وجدهُ مدفنًا لتسعة وعشرين جثَّة محنَّطة منها جثث ملوك وملكات وامراء. وكان في نواويسهم اشياء كثيرة ثمينة دُفنت معهم كمصاغات وجواهر واوعية قديمة وهلمَّ جرًّا

ومدار كلامنا في هذه الخلاصة على جثث ملوك مصر ودونك اسماء هؤلاء الفراعنة على ترتيب ملكهم:

١ سكينن را (او) رع (١	٥ تحوتمس الثالث
٢ أحمس الاوَّل	٦ سيتي الاوَّل
٣ عمينوفيس الاوَّل	٧ رعمسيس الثاني (وهو المشهور عند اليونان بسيوستريس)
٤ تحوتمس الثاني	

وكلّ هذه الجثث السبعة في متحف الجيزة قد عُرِضَت هناك للزوّار

وفي السنة الجارية تمكّن المسيو لُورِهْ مُناظر العاديات المصرية حالًا من اكتشافٍ آخر ذي خطارة عظيمة اتّصل اليهِ باعتباراتٍ تستند الى علم الآثار فوقف في وادي باب الملوك او بيبان الملوك في شمالي شرقيّ دير البحري على مخبأةٍ ثانية تتضمّن كثيرًا من اجسام الفراعنة (راجع المشرق ص ٥٨١) وصورة هذا المدفن شبيهة بالمدفن السابق ذكرهُ وهذه اسماء الملوك الذين وُجدت جثثهم نوردها على سياق التاريخ:

١ عمينوفيس الثاني	٦ رعمسيس الثالث
٢ تحوتمس الرابع	٧ رعمسيس الرابع
٣ عمينوفيس الثالث	٨ رعمسيس الخامس
٤ سيبتاح	٩ رعمسيس السادس
٥ سيتي الثاني	١٠ (عمينوفيس الرابع) او منفتاح

وقد حدث بين علماء الآثار المصريّة بعض اختلاف في قراءة اسم الملك العاشر منفتاح. فانّ اسمهُ كان مكتوبًا على نادوسهِ باللغة المعروفة بالهيراتيّة اي المقدّسة لشيوعها بين الكهنة فارتأى المسيو لُورِهْ في المقالة التي قرأها امام مجمع العلماء المصري (في ١٣ أيار سنة ١٨٩٨) انّ اسم هذا الملك هو خوناتين اي عمينوفيس الرابع (راجع المشرق ص ٥٨٢) الذي عقب عمينوفيس الثالث في الملك بيد انّهُ يوجد شبهٌ كبير بين هذا الاسم واسم «باء إنْ رع» اي منفتاح في الكتابة الهيراتية فرجّح المسيو ويليم غروف انّ القراءة الصحيحة هي باء ان رع وان الملك العاشر هو منفتاح لا عمينوفيس الرابع مستندًا بذلك الى بعض ملاحظات لغويّة وتاريخية دقيقة تشهد لصاحبها بتوقّد الفهم وقد صوّب رأيَهُ المسيو إرْمان والمسيو مسبرو وغيرهما للاسباب الآتية

إعلم ان اكثر ملوك وامراء الدول الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين قُبِروا في مقابر خاصّة لا تزال مواقعها معروفةً تدلُّ عليها كتابات يرتقي عهدها الى تلك الازمنة. امّا جثثهم المحنّطة فقد وُجد اغلبها في مخابئ لم تكُ في الاصل مدافنهم. ومن الامور الغريبة

١) ويجوز راسكينن . وقرأهُ مسبرو : سكونندرع

انَّ اجسامهم وجدت بصحبة اجسام عظماء كهنة عمُّون . ولذلك سببٌ خفيٌّ كشفت الآثار القديمة سرَّهُ

بعد ان صار الامر في ثيبة (وهي الاقصر) للدولة العشرين اخذ حبلها ينتقض وقوَّتها تتضعضع فاعتصبت جماعاتٌ من اللصوص وجعلوا يطوفون البلاد نهباً وسلباً وأدَّت بهم الوقاحة الى ان انتهكوا حمى القبور ليتزعوا منها ما أُودعته من الحليّ الثمينة (راجع المشرق ص ٥٨٠) وهذا العمل الذميم قد شهدت به كتابةٌ قديمة وُجدت منذ عهد قريب . فنهض اذ ذاك قومٌ من اصحاب النخوة وهم عظماء كهنة الإله عمُّون ونقلوا اجسام الملوك الفراعنة من مدافنهم الاصلية الى مخبأة جمعوا فيها اجسام الكهنة المحنَّطة صوناً لها من ايدي الاوباش المتلصّصين . وقد قام هؤلاء الكهنة بهذه الغيرة لسببين : اوَّلاً لما كان عليه الفراعنة المذكورون من التقى والتعبُّد لإلههم عمُّون . وثانياً شكرًا منهم لاولئك الملوك الذين اجزلوا نحوهم العطايا السنيَّة والاوقاف الواسعة

بيد ان عمينوفيس الرابع المدعو خوناتين كان من ألدّ اعداء كهنة عمُّون واستبدل دين هذا الاله بعبادة الشمس ونقل حاضرة الملك من ثيبة الى تلّ العمارنة التي تُعرَف اليوم بحجّي قنديل بقرب الملوى وحمــل به بغضُهُ لعمُّون وسدَنته الى ان ازال اسم هذا الاله من الآثار المصريَّة حيثما وجدهُ . فكيف يقبل العقل ان يكون كهنة عمُّون في ايَّام السلالة العشرين اهتمُّوا بجثَّة ملكٍ غلّت في قلبه مراجل العداوة نحوهم او كيف وضعوهُ في مدفن احبارهم وهم يعدُّونهُ مارقاً من الدين خارجياً . فمن منَّا يتصوَّر مثلاً احد احبار الكنيسة يسعى في إنقاذ جسم بعض المبتدعين كنسطور او لوثار ليودعهما في المقابر المقدَّسة . أمَّا منفتاح فكان بخلاف الامر احد المتعبّدين للاله عمون فحقَّ على عظماء الكهنة ان يحُوا جثَّتهُ من الهوان كما نجُّوا جثَّتي ابيه رعمسيس الثاني وجدّه سيتي الاوَّل . فهـذا برهانٌ وطيد أوضحهُ المسيو غروف ورجَّح به رأيهُ على رأي المسيو لوره

وعليه فنظنُّ نحن ايضاً انَّ هذه الموميا هي جثَّة الملك منفتاح لا عمينوفيس الرابع وقد ملك منفتاح بعد رعمسيس الثاني

٢

انَّ في ما سبق توطئةً للغرض الذي نحن نتوخَّاهُ في هذه المقالة . وهاكَ مجمل اسماء الملوك السبعة عشر المذكورين على حسب ترتيب جلوسهم على منصَّــة الملك . وقد صدَّرنا

بنجمة اسماء الملوك الذين وقف على ضريحهم العلّامة مسپرو وبصليب الذين اكتشفهم المسيو لوره. وهو لم ينقلهم بعد من باب الملوك الى الجيزة. امّا الاسماء التي وُضعت بين هلالين فتدلُّ على فراعنة لم تُكتشَف بعدُ اجسامُهم وستَّة منهم اسماؤهم مجهولة. اشرنا اليهم بخطّ:

* سكينن را (او رع)	(—)
* احمس الاوّل	(رعمسيس الاوّل)
* عينوفيس الاوّل	* سيتي الاوّل
(تحوتمس الاوّل)	* رعمسيس الثاني (سيسوستريس)
* تحوتمس الثاني	+ منتاح
(حَتْشو بسو الملكة)	(—)
* تحوتمس الثالث	+ يبتاح
+ عينوفيس الثاني	سيتي الثاني
+ تحوتمس الرابع	(—)
+ عينوفيس الثالث	+ رعمسيس الثالث
(عينوفيس الرابع)	+ رعمسيس الرابع
(—)	+ رعمسيس الخامس
(—)	+ رعمسيس السادس
(—)	

فاذا تصفَّحنا الآن سفر التكوين وجدنا ذكر مصر وفراعنتها مكرّرًا في عدَّة فصول غير انَّ التاريخ الذي يهمُّنا في هذه النبذة انَّما هو تاريخ العبرانيين منذ عهد يوسف الى ايَّام خروج ذرّيَّة يعقوب منها ونجاتهم على يد موسى كليم الله

امَّا اخبار يوسف فقد جرت في ايّام الملوك الرُعاة واصل هؤلاء الفراعنة قبائل عديدة اسيويَّة من الحثيين والكنعانيين وغيرهم كانوا يسكنون في شمالي سوريَّة وشرقيها. بيد انهم زاحمهم في ارضهم ملوك اقوياء شنُّوا عليهم الغارات فاحتلُّوا بلادهم واجاؤوهم الى ان يرتادوا لهم بلادًا أُخر. فزحفت هذه القبائل الى الغرب رجاء ان تجد لها ممالك تخار عودُها فتجعلها محطًّا لعصا ترحالها او غنيمة باردة لمطامعها. فسار قسمٌ من هذه القبائل الغازية الى جهات مصر وهم يعلمون ما هي عليهِ من خصب التربة وسعة الثروة فانقضُّوا على وادي النيل ولا انقضاض النسور القشاعم وغلبوا ملوكها الاصليين ودفعوهم الى جنوبي البلاد حتى خلا لهم الجوُّ ودان لهم القاصي والداني وربتعوا في مصر السفلى عند سواحل

البحر وامتدَّ ملكهم الى الفيّوم وكان افتتاحهم لمصر نحو سنة ٢٢٠٠ قبل المسيح. ثمَّ بنوا مدينة هواريس (١ وجعلوا تانيس قاعدةً لملكهم. وهؤلاء الغزاة هم الذين يُدعون بالملوك الرعاة واسمهم الشائع هيكسوس اي رؤساء الغُزاة. ثم اخذوا يأتسون بالمصريين ويقتدون بعوائدهم ويتكلمون بلغتهم ويستعملون كتابتهم وطال ملكهم في ارض مصر

ففي عهد هؤلاء الملوك الرعاة جرت قصَّة يوسف العجيبة التي ورد ذكرها في سفر التكوين فانَّ دخوله مصر مع التجار الاسماعيليين وبيعهُ هناك لفوتيفار ثمَّ تبرئة ساحتهِ من التهم وارتقاءهُ الى الجاه المتّسع والرتبة العليّة عند فرعون كلّ ذلك قد جرى في ايام احد ملوك الهيكسوس اسمهُ أبوفيس (٢. هذا ما رواهُ قدماء المؤرخين واثبت صحَّتهُ ثقات العلماء الباحثين عن العاديات المصريَّة

بيدَ انَّهُ من الراجح ان يوسف بقي متوليًا نظارة مصر بعد وفاة أبوفيس في عهد خلفهِ وقد تضاربت آراء المؤرخين في تعيين اسمهِ. ومن الامور الحريَّة بالاعتبار انَّ التقاليد العربية تدعو الفرعون الذي نصَّب يوسف على مصر «الريَّان» وينسبهُ مؤرخو العرب الى العمالقة وربَّما سمَّوهُ «فرعون يوسف». فكان هذا التقليد يُعَدّ من الاسانيد الباطلة التي لا يُعبأ بها. غير انَّ المحدثين وجدوا في هذا القول من الصحّة ما لم يكن في حسبانهم. والحقُّ يقال انَّ يوسيفوس المؤرخ في كتاب العاديات اليهوديَّة ذكر في قائمة ملوك الهيكسوس خلفَ ابوفيس ودعاهُ «يانَّا» والتصحيف بين هذين الاسمين سَهل سواء صُحف يانَّا بريَّان او بالعكس. وما لا ريب فيه ان العلاَّمة المحقق نافيل وجد سنة ١٨٨٨ في تلّ البسطة (Bubaste) اثرًا قديمًا ورد فيهِ اسم «يان را» كما انَّهُ يوجد في المتحف البريطاني في لُندن تمثال اسد حُفرت عليهِ كتابة جاء فيها هذا الاسم نفسهُ «يان را». فالنون والراء في هذه اللفظة من الحروف اللثّية التي كثيرًا ما تُدغم فصار الاسم «يانَّا» كما رواهُ يوسيفوس. امَّا رواية العرب «ريَّان» فمشتقَّة من الاسم المصري وذلك ان لقب «را» او «رع» في الاسماء المصريَّة يجوز تقديمهُ او تأخيرهُ على سواء. فيقال «يان را» او «را يان» والعرب نقلوهُ عن صورته هذه الاخيرة كما ترى فدعوهُ «ريَّان»

١) وجدناها معرَّبة حواريس واواري واڤاري (المشرق)

٢) وهو الذي يدعى في تاريخ سهرو «ايبي» وكتبهُ البعض «ابابي»

لا يخفى انَّ سفر التكوين ينتهي بخبر وفاة يوسف. ويلي هذا السفر الاوَّل سفر خروج بني اسرائيل من ارض مصر واجتيازهم بحر القُلزم. الّا انَّهُ بين عهد يوسف والفرعون ابوفيس الى زمن نجاة بني اسرائيل على يد موسى الكليم اربعمائة وثلاثين سنة كما يؤخذ من سفر الخروج (ف ١٢ع ٤٠)

فيظهر من ثمَّ انَّ بين السفرين (التكوين والخروج) عهدًا طويلًا لم نحصل على تفاصيل اخبار ملوكهِ. فلمَّا لم يجد مصنّف هذين السفرين داعيًا لسَرْد هذه الاخبار التي تخصّ التاريخَ المدني اكثر منها التاريخَ الديني ضرب عن ذكرها صفحًا. وهذا التاريخي يُستدَلّ عليهِ من نفس السفرين المذكورين لأنك ترى بني يعقوب في اخر التكوين راتعين في بحبوحة الهناء يرعون مواشيهم في ارض جاسان الخصبة. وتراهم بعكس ذلك في مُفتتح سفر الخروج في حالة من الضنك والعناء يستعبدهم « فرعون لا يعرف يوسف » ويبهظهم بأحمال تنوء عنها مناكبهم منها تسخيرهم ببناء مدينتَي رَعَمسيس وفيثوم. فأنَّى هذا الاختلاف بين حالتي شعب الله وكيف انقلب العبرانيُّون من اوج السعد الى هوَّة الذلّ والهوان فهذا سرٌّ كان مكتونًا حتى ازالت عنهُ القناع الكتابات المصريَّة واكتشاف جُثث الفراعنة المحنَّطة في دير البحري وباب الملوك

قد ورد في جملة هذه الآثار القديمة ان احد الملوك الوطنيين اسمهُ « سكين را (١ » الملك في ثيبة من اعمال الصعيد حاول ان يكسر شوكة الملوك الرُّعاة الغرباء فجاهر بالحرب الملكَ ابوفيس المالك في ايام يوسف. فنهض ابوفيس للمدافعة عن ملكهِ وابلى في ذلك بلاء حسنًا حتى فلَّ شباةَ اعدائهِ وقتل ملكهم سكينن را في باحة الحرب. وهذا امرٌ تشهد عليهِ جثَّةُ الملك سكينن را الموجودة في متحف الجيزة وهي مُثخنة بالجراح التي اصابتهُ في القتال فانَّ فأس العدوّ قد قطعت لهُ خدَّهُ اليُمنى مع فكّهِ السفلى. وثالثهُ على رأسهِ ضربةٌ اخرى أثَّرت في الجمجمة فشجَّتها وسال منها مخُّ الملك وقد بُلي بضربة ثالثة وهي ضربة رُمح او مديةٍ نفذت قرب حَجاج عينهِ اليُمنى (٢

---

١) ويجوز را سكينن (راجع ص ٨٨١)

٢) وعليهِ فانَّ ما رواهُ المقتطف في عددهِ السادس من السنة الجارية (ص ٤٣٩) ليس بسديد حيث عزا الانتصار لراسكين على ابوفيس والامر بعكس ذلك. ولو زار كاتب هذه المقالة «المقتق» متحف الجيزة لعرف خطأهُ هداه الله (المشرق)

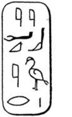
ولم تزل الحرب متشبةً بين الفريقين مدةً دون ان يظفر المصريون باخصامهم حتى ضبط عنان الملك احمسُ الأوّل احد خلفاء سكينن را وتمكّن من قطع نظام الرعاة وتعفية آثارهم. ففتح عنوةً عاصمة ملكهم تانيس واستولى بعد حرب عوان على هواريس وكلّ البلاد الشمالية. ومن يتفرّس في موميا هذا الملك بمتحف الجيزة يجد بهِ رجلًا قصير القامة متجعّد الشعر ذا هيئة تُؤذن بالسطوة والبأس. والشدَّة والمراس. وهو منشئ الدولة الثامنة العشرة. وبقيت هذه الحرب على ساقٍ نحو ١٥٠ سنة

وبعد قهر الملوك الرعاة اضحت حالة العبرانيين حرجةً لأنهم كانوا في ظلّ حمايتهم. بيد ان الفراعنة الوطنيين ضنًّا منهم على الفلاحة والزراعة لم يطردوا من ارض مصر كلّ شعب الهيكسوس. بل تركوا منهم من لم يخافوا شرَّهم وأذاهم ولا يزال الى يومنا من سلالتهم بقيَّةٌ بين الصيَّادين الذين يرتزقون بمهنتهم على شاطئ بحيرة المنزلة فانَّ هيئتهم وتقاطيع وجوههم اشبه شيء بصوَر الملوك الرعاة المحنَّطة مومياهم بالجيزة. لكنَّ هذا الشعب المتخلّف عصر من الهيكسوس بقي متذلّلًا مُهانًا. وعلى هذا المنوال ساءت احوال العبرانيين وكانوا منذ أيام يوسف نموا نموًّا عظيمًا فاستحار كثيرون منهم الاقامة في مصر على العود الى اوطانهم القديمة. وذلك ما يبيّن لنا بنوع جليّ ما لحق بهم من الجنف والامتهان وسوء المعاملة

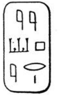
وقد زاد بلاء العبرانيين بعد وفاة احمس الاوّل لمَّا دخل خلفاءهُ روحُ الحميَّة والغزوات لاسيَّما في ايام تحوتمس الثالث (راجع الجدول ص٨٨٣). فما جلس هذا الملك على اريكة الفراعنة حتى جيَّش الجيوش وشنَّ الغارة على البلاد الاسيويَّة. وفي الكتابة التي امر بحفرها في هيكل الكرنك بعد انتصارهِ قد عدَّد الفتوحات التي فتحها وفيها يُروَى انَّ الاشوريين والحطّي (الحثّيين) والفينيقيين اذعنوا لسلطانهِ وأدّوا لهُ الجزية. وقد اقام تحوتمس نُصبًا كبيرًا في طريقهِ ببلاد ما بين النهرين دوَّن بها شيئًا كثيرًا من مآثرهِ وبها يفتخر انَّهُ وسَّع حدود مصر وغزا بلاد السودان وغنم بها الغنائم الثمينة من الذهب والعاج والأبنوس وانَّهُ بنى البنايات العظيمة في النوبة وألِفنتين وإسنا وامبوس وهرمنتيس ولاسيَّما في ثيبة الكبرى (الاقصر). وكان ملك تحوتمس هذا ٥٤ سنة

ألا ان بين غزوات تحوتمس المذكور غارةً ههُنا ذكرها قد اغار بها على قبائل كنعانية متحالفة كسرها كسرة قبيحة وفرَّقها ايدي سبا بعد ان فتح عنوةً مدينة مجدّو واستولى على ما وجد فيها من الذخائر والاسلاب. وفي جدران هيكل الكرنك تجد جدول اسماء هذه

القبائل المغلوبة التي جلاها من اوطانها فقادها الى ثيبة قاعدة ملكهِ. وفي جملة هذه القبائل اسم « يعقوب ايل » و« يوسف ايل »



يعقوب ايل Jacob-El



يوسف ايل Ichep-El

وليست هذه الجداول اسماء بعض الافراد كما زعم قومٌ بل هي اسماء قبائل او عشائر كبيرة وقد علّل ذلك السير غروف بادلَّة قاطعة في رسالة كتبها للمعلّم رڤيليو (١ فيكون اذن معنى اسمي « يعقوب ايل ويوسف ايل » ذرّيّة يعقوب ويوسف. ولعلَّ سائلًا يسأل: وما السبب لذكر يعقوب ويوسف دون اسباط بني اسرائيل. فنقول انَّ الزمان الواقع بين تحوتمس الثالث ويوسف لم تكُ بعد مدَّةً كافيةً ليصير لهذه الاسباط الاثني عشر اسم خاصٌّ شائع عند المصريين فاجتزأ الفاتح بذكر اسم يعقوب الذي تفرَّعت منهُ عشرة اسباط واسم يوسف ابي السبطين الآخرين

امَّا صورة هذين الاسمين « يعقوب ايل » و« يوسف ايل » فليس فيها ما يستوجب الاندهال. فان تركيبها تركيب قياسي على مثال اسماء سامية كثيرة تُختم بإيل نحو: اسرائيل وجبرائيل ونثنائيل وهلمَّ جرًّا وهي اسماء تامَّة اللفظ وربَّما اقتصرها العامة بحذف آخرها اي بحذف الخاتمة (ايل) وهي اسم الجلالة وذلك أنَفَةً من ابتذال اسمهِ تعالى عزَّ وجلَّ او حبًّا بالاختصار كما يصنع العامَّة في زماننا فيقولون مثلًا « فضلو وشكري ورزق وعبدو » بدلًا من « فضل الله وشكر الله ورزق الله وعبد الله »

---

١) راجع المجلَّة القرنيَّة : Revue Egyptol., 4e vol. fasc. 1 et 2

فينتج من ذكر بني يعقوب ويوسف في جملة الاسرى الذين جلاهم تحوتمس من بلادهم انَّ قسماً من العبرانيين كانوا طُردوا من ارض مصر مع شعب الهيكسوس فسكنوا بلاد كنعان وتحالفوا مع الكنعانيين لمقاومة الفرعون فدارت عليهم رحى الحرب وأُتي بهم اسرى متهودين الى ثيبة . ومنــذ ذلك الوقت تثاقل على ظهر بني يعقوب ويوسف وقرُ العبودية الشاقَّة فعاملهم المصريُّون معاملةً سيئة بلا رحمة ولا شفقــة . وصاحب سفر الخروج يفتتح كتـابهُ بوصف القوم في رقّ عبوديتهم . وفي الملخص الذي قدَّمناهُ يجــد القارئ اللبيب سيــاق الاخبار ويفهم ما يوجد بين السفرين من الموافقة وان سكت صاحبها عن امور كثيرة وقعت في الزمان الفاصل بين آخر تاريخ التكوين واوَّل تاريخ الخروج

٣

وممَّا يخبر في سفر الخروج انَّ الملك المتولي الامر في ذلك العهد اضطرَّ العبرانيين ان يشتغلوا اللبن ويبنوا لهُ المدينتين المعروفتين برعمسيس وفيثوم . وفي تلك الأيام كانت ولادة موسى . ولمَّا بلغ أَشدَّهُ قتل مصريًّا اعتسف احد بني جلدتهِ (خروج ٢ : ١٢) فبلغ الخبر الى مسامع فرعون فطلبهُ الملك ليقتلهُ الَّا انَّ موسى كان نجا بنفسهِ عند حميهِ يثرو في بريَّة مدين . قال الكتاب الكريم (خر ٢ : ٢٣) : « وكان بعد ايامٍ كثيرة انَّ ملك مصر مات » فامر الله موسى ان يعود الى مصر ليخلّص شعبهُ . فيُستدلّ من هذا الكلام ان نجاة الاسرائيليين جرت في أيام خلَف الفرعون السابق لانَّ الربَّ قال لنبيّهِ (خر ٤ : ١٩ و٧ : ٧) : « امضِ فارجع الى مصر فانَّهُ قد مات جميع القوم الذين يطلبون نفسك . . وكان موسى اذ ذاك ابن ثمانين سنة »

نقول انَّ هذه الآيات الكريمة لا تنطبق تاريخيًّا سوى على رعمسيس الثاني فان اعمالهُ المرويَّة في الآثار القديمة تناسب اتمَّ المناسبة ما ورد في سفر الخروج . والدليل الاوَّل على ذلك ما وُجد في الكتابات المصريَّة انَّ رعمسيس الثاني هو الذي امر ببنــاية المدينتين المذكورتين في الاسفار الالهيــة اعني رعمسيس وفيثوم . ولو لم يكن غير هذا الدليل على مُعاصرَة رعمسيس الثاني والعبرانيين لكفى بذلك برهانًا دامغًا لمراغم الجاحدين

والدليل الثاني على ان رعمسيس هذا هو فرعون موسى الذي هرب منهُ النبيُّ انَّ هذا الملك كما ورد في الآثار المصريَّة جلس على منصَّة المُلك ٦٧ سنة وكذلك افصح

الكتاب الكريم عن طول ملك الفرعون لانّ موسى قضى اربعين سنة في ارض مدين قبل ان يعود الى مصر لاجل وفاة طالب قتلهِ

ودونك دليلًا ثالثًا ذا خطارة كبرى لإثبات غايتنا. لمّا كان العلّامة ماريت بك في تانيس سنة ١٨٦٤ اسعدهُ الحظّ على وجود نُصُب جاء فيهِ كتابة تاريخها سنة ٤٠٠ (١ فهذا النُّصب يرتقي الى عهد رعمسيس الثاني وهو يمثّل ذلك الفرعون منتصبًا امام بعض آلهة مصر يقدّم لهُ التقادم. فحضرة الاب دي كارا اليسوعي العالم الشهير قد بيّن في مجلّة التمدّن الكاثوليكي (٢ انّ الاله المصوَّر في هذا النُّصب انّما هو الاله «سِتْ نَوْبِهِير» امّا التاريخ الوارد في اوّل الكتاب فجاء على هذه الصورة: «في السنة ٤٠٠ الرابع من مَسُري ملك الصعيد ومصر السفلى | ست آآ پهتي | ابن الشمس الخ ...» قال الاب دي كارا: انّ هذه السنة ٤٠٠ تدلّ على تاريخ مقرّر وابتداء. هذا التاريخ هو السنة التي بها اتُّخذ الاله «ستْ نَوْبِهِير» كاله الصعيد ومصر السُّفلى معًا. هذا وتعلّمنا الآثار المصريّة انّ عبادة هذا الالهُ نشأت في مصر على عهد الملك ابوفيس فرعون يوسف السابق ذكرهُ. فانتشرت بين المصريين عبادتهُ وكان رعمسيس الثاني يجلّهُ ويكرمهُ اقام لهُ في تلّ البسطة معبدًا. فيلوح اذن من تاريخ هذا النصب انّ بين فرعون ابوفيس ورعمسيس الثاني ٤٠٠ الى ٤٣٠ سنة. وهذه السنين هي نفس السنوات التي ذكرها الكتاب المقدّس لطول اقامة العبرانيين في مصر (راجع سفر التكوين ١٥: ١٣ وسفر الخروج ١٢: ٤٠) (٣. فيتّضح جليًا انّ الفرعون المعاصر لموسى هو رعمسيس المذكور

وهنا يليق بنا ان نزيد برهانًا آخر على ما سبق وهو اكتشاف اسم وآثار ابنة فرعون التي نجّت موسى الطفل من الغَرَق. وقد ذكر المشرق (ص ٥٨٦ و٥٨٧) تقليد الربّيين في خصوص اسمها «بت يا» ويظهر ان هذا الاسم هو الذي ورد في الكتاب الاوّل من اخبار الايّام (ف ٤ع ١٨) حيث يعدّد السفر الكريم اسماء «بني بِثْيَة بنت فِرْعَون».

١) وهذا النصب يُعرَف اليوم عند العلماء «بنصب سنة ٤٠٠»

٢) Civilta Cattolica, Octobre, 1887 et seqq.

٣) قد ورد في الاسفار الكريمة اختلاف في عدد سني اقامة بني اسرائيل في مصر. فان سفر الخروج (وكذا غلطية ٣: ١٧) ذكر ٤٣٠ سنة وسفري التكوين والاعمال ٤٠٠ سنة. وقد علّل هذا الاختلاف باسباب شتّى صوابيّة يطول شرحها. والظاهر انّ العدد ٤٠٠ اجماليّ لم يُردْ بهِ التدقيق (المشرق)

وفي الترجمة السبعينية قد جاء على صورة « Βεθια » وانّنا نوافق حضرة الاب جورون فيما كتبهُ عن توحيد اسم « بت يا » و « بت أنتا او انت » الذي ورد في الكتابات المصرية . فان هذه الآثار القديمة تثبت انّ لرعمسيس ثلاثة اولاد خامونيس ومنفتاح وهذه الابنة بت انتا . وكان ابوها يحبّها حبًّا شديدًا حتى أنهُ أشركها بالملك مع اخويها . وقد وُجد قبرهما في وادي الملكات بازاء الاقصر . فأثبت المسيو غروف في جمعيّة العلماء المصريين (في ٢٥ ك ١ سنة ١٨٩٥ وفي ٦ اذار سنة ١٨٩٦) ان « بت يا » و« بت أنتا » اسمان يدلّان على مسمّاة واحدة . وأيّد رأيهُ بما قرأهُ على ناؤوس من الصوّان الورديّ المجلّب استجلبهُ المسيو غاثيليو من وادي الملكات وفيه اسم الاميرة المذكورة (راجع المشرق ص ٥٨٧) . ومن غريب الاتّفاق ان هذا الناووس يحفظهُ الآن المسيو غاثيليو في بيتهِ في جزيرة الروضة ليس بعيدًا عن المكان الذي أُلقي فيه موسى على النيل في شمالي هذه الجزيرة على مقتضى الاسانيد القديمة

٤

قد مرَّ انَّ الفرعون الذي في عهدهِ خرج بنو اسرائيل من مصر انّما هو خلف رعمسيس الثاني . والآثار المصرية تدعو هذا الملك منفتاح وكان الثالث عشر من ابناء رعمسيس المذكور . وفي الكتاب الكريم بعض آيات يُشعر ظاهرها بانَّ هذا الفرعون غرق مع جيشهِ في بحر القلزم . الّا انَّ هذه الاقوال من باب المجاز المرسل حيث يُعزى للقائد من الانتصار او الكسرة ما يصحُّ عن الجيش . فلا يلزم اذن من قول الكتاب انَّ فرعون بنفسهِ قاد الجيش وتعقَّب بني اسرائيل وانَّهُ غرق في البحر . وجثّتهُ المحنطة من جملة ما اكتشفهُ المسيو لوره في هذه السنة (راجع الجدول السابق ٨٨١)

وقد وجدنا بين الكتابات المصريّة في متحف الجيزة ما يشير الى خروج بني اسرائيل من مصر اشارةً بيّنة واضحة . وذلك في النصب المعروف بنُصب منفتاح اكتشفهُ منذ سنتين المسيو فلندرس بتري بين أطلال هيكل منفتاح جنوبيّ هيكل رعمسيس المدعوّ (Ramesseum)

وتاريخ هذا النصب السنة الخامسة لملك منفتاح يصف فيهِ الملك انتصارهُ على شعوب الليبيين . وفي آخر الكتابة بعض اسطر يختلف رسمها عن الاسطر العليا وكاتبها غير كاتب القسم الاوّل . وفي هذه الاسطر الاخيرة ذكر انتصار منفتاح على ياتوم وعلى سوريّة

ورد لاوّل مرَّة اسم اسرائيل كما دُوِي في المشرق (راجع المشرق ص ٥٨٦) في عبارة تؤذن بما في قلب صاحبها من البُغض للعبرانيين وسروره برحيلهم عن ارض مصر. والعبارة المذكورة هي: «انَّ اسرائيل صار عقيمًا ولا يعود يأتي بعقب». فانَّ هذه الفقرة الواردة في اثر كتابة خُصَّت بمديح فرعون وذكر فتوحاته تدلُّ على انَّ صاحبها يرغب بتعظيم مليكه. فانهُ يعتبر خروج بني اسرائيل من ارض مصر كظفر فاز بهِ المصريُّون على اعدائهم العبرانيين رغمًا عمَّا لحق بهم من الخسارة بغرق جيوشهم. ولذلك كتب هذا الكاتب فرحًا «انَّ اسرائيل صار عقيمًا» يلمح بذلك الى تكاثر بني اسرائيل ونموّهم العجيب في ارض مصر سابقًا. وقولهُ «فلا يعود يأتي بعقب» يريد بهِ انَّ بني اسرائيل يعودون يجلبون البلايا والضربات على المصريين ولا يدنّسون بلادهم بوجودهم فيها. فهذا رأينا في هذه الفقرة الاخيرة وليست كما زعم البعض اشارة الى انتصار منفتاح على العبرانيين في ارض كنعان

ونختم كلامنا باستلفات نظر القرّاء الى اثر مصريّ آخر يُحفَظ اليوم في متحف برلين وهو تمثال عظيم للملك منفتاح يبهر نظر الداخلين لاوّل وهلة. وقد مُثّل مع الملك ابنهُ البكر وكان جعلهُ شريكًا للملك كما يُستدلّ على ذلك بالتاج الملكيّ الذي على رأسهِ ولقبهِ الملكيّ «اماثيس». وهو يدعى ايضًا في الكتابة المرقومة على التمثال باسم منفتاح كابيه. لكنّهُ أتبع اسمهُ بوصف «خرونما» معناه «المبرَّر» او «السعيد» وهو وصف مخصوص بالموتى. قال المسيو لوث (Lauth): «لا يشطّ في يقينه من يرتأي انَّ هذا الامير الشاب المتوفّى قبل ابيه هو ابن فرعون الذي ورد ذكرهُ في سفر الخروج (٤: ٢٣) حيث يقول الربّ: «قل لفرعون. أطلق عبدي ليعبدني وان أبيتَ ان تُطلِقهُ فهاءنذا قاتل ابنك البكر» وقد حقَّق الله وعيدهُ بالفعل كما جاء (خروج ١١: ٥): «كذا قال الربّ اني نحو نصف الليل اجتاز في وسط مصر فيموت كلّ بكر في ارض مصر من بكر فرعون الجالس على عرشهِ الى بكر الأمة التي وراء الرّحى»

(ثالثًا) قد صدق المسيو لوث في قوله هذا عن ابن فرعون. ونحن ايضًا نقول انهُ لا يشطّ في يقينه من يعتقد ما ابتناهُ سابقًا ان الفرعون الذي ذُكرت اعمالهُ السيئة نحو اسرائيل في بدء سفر الخروج هو هو رعمسيس الثاني اي سيسوستريس الكبير وان الشعب

العبراني تخلص من رق عبوديّة المصريين في ايّام ابنهِ منفتاح. وكان ذلك نحو سنة ١٣٥٠ قبل المسيح

وبعد نجاة اسرائيل من مخاليب مصر انفصمت العلائق بين شعب الله والفراعنة مدة سنين عديدة

الهواء الجوّي وميزان ضغطهِ (البارومتر)

للاب غدفريد زُموفن اليسوعي مدرّس الطبيعيّات في كليّة القديس يوسف

(تتمّة)



الشكل الرابع . البارومتر العاديّ

للبارومتر ثلاث فوائد سنبسط الكلام فيها: الاولى قياس ضغط الهواء الجوّي وثقلهِ . الثانية الاستدلال على تغيُّر احوال الجوّ . الثالثة تعريف علوّ الجبال

١ قياس ضغط الهواء الجوّي

اذا ما امعنَّا النظر في حقيقة البارومتر وجدنا أنهُ والميزانَ سواء بيد أنهُ يفضل كلَّ الموازين العاديَّة من حيث الشعور لانهُ يُبدي للعيان التقلُّبات الطارئة على ثقل الهواء ولو كانت نهايةً في الدقَّة . فان لحظتَ مثلًا بارومتر الزئبق وجدتَ انَّ ضغط الجوّ على سطح الزئبق في الوعاء سواء ثقل الهواء او خفَّ يناسبهُ ارتفاع الزئبق او هبوطهُ في خزانة الانبوب المفرَّغة (راجع الشكل الرابع) . وكذلك البارومتر المعدني فانَّ ثقل الهواء وخفّتهُ يدلُّ عليهما العقرب بسيرهِ على يمين المينا او شمالها على حسب ما يضغط الهواء الصفيحةَ المعدنية الموصوفة سابقًا او يخفُّ ضغطهُ عنها

ثمَّ اعلم انَّ من يرصد البارومتر في مكان واحد مدَّة ايّام متتابعة لا يلبث ان يلحظ فيهِ اختلافاتٍ

عديدة في سنته ومعدَّل هذا الاختلاف بين معظم ارتفاعهِ ونهاية انخفاضهِ يزداد كلما سرتَ من خطّ الاستواء الى الاقطار القطبية. وهذه الاختلافات على صنفين منها عرضيَّة غير قياسية سببها امَّا الحرارة وامَّا الرطوبة او هبوب الرياح. وهذه الطوارئ كثيرًا ما تُحسُّ في بلادنا هذه بمفاعيلها. ومنها يومية قياسية يمكن رصدها قانونيًّا في ساعاتٍ معلومة من النهار في البلاد الواقعة تحت خطّ الاستواء. امَّا ساعات معظم الاختلافات اليومية او اقلّها فلا يطرأ عليها تغيير في كل البلاد على اختلاف مناخها وأعراضها اللهمَّ الَّا في بعض فصول السنة

١ اختلافات البارومتر العرضيَّة

١ (فعل الحرارة). لو كانت حرارة الهواء ثابتة لا تختلف في كلّ طبقات الجوّ لما حدث فيهِ مجرى وتموُّج ولبقي ضغط الهواء في العلوّ ذاتهِ متساويًا في كلّ انحاء المعمور ولكن الامر بخلاف ذلك فربَّما حمي قسمٌ من الجوّ اكثر من الآخر فيتمدد هواؤهُ ويتخلخل ويتصاعد الى طبقات الجوّ العُليا وَتقلّ خفَّتهُ. فيحصل من ثمَّ خفَّة في ضغط الهواء وهبوط في البارومتر. ولو افترضنا ان حرارة الجوّ تبقى ثابتة في بعض انحائهِ وانَّ الجهات التي تجاور هذا الموضع تبردُ لحصل فيهِ ايضًا المفعول ذاتهُ لانَّ هواء ذلك الموضع يتخلخل ويمتدّ الى الطبقات الباردة. فخذها اذن قاعدة مطَّردة انَّ الهواء لا تهبط درجة حرارتهِ هبوطًا ذا شأن في بعض انحاء الكرة الارضيَّة حتى يوازيهِ في طبقة اخرى من الجوّ ارتفاع في الحرارة

٢ (فعل الرطوبة). وللرطوبة تأثير في ارتفاع البارومتر وذلك ان بخار الماء يمتزج بالهواء فيزيدهُ ثقلًا ولو كان اخفّ من الهواء. فينتج من ذلك زيادة في ضغط الهواء على سطح الزئبق وارتفاع عمودهِ. ولامتزاج البخار بالهواء مفعول ثانٍ يخالف المفعول الاوَّل وهو انَّهُ يزيد مرونة الهواء فتحدث فيهِ لهذا السبب حركة وينحرف يمينًا وشمالًا فيخفّ بتماديهِ ضغط الجوّ ويهبط المقياس. فللرطوبة اذًا فعلان فعلٌ عَرَضيّ موقَّت يُصعِد الزئبق في البارومتر وفعل نهائيّ يُهبطهُ

٣ (فعل الريح). انَّ الريح عادةً تخفِّف ضغط الهواء. وكلَّما زادت هبوبًا خفَّ ثقل الضغط الجوّي اللهمَّ اذا لم يطرأ طارئ آخر يزيد الهواء ثقلًا. امَّا سبب هذه الخفَّة عند هبوب الريح فلأنَّ مجراها يُبطل نوعًا ما ضغط طبقات الهواء العليا فيتناقص مجموع

الثقل الجوي . وعليهِ يصحّ القول ان اشتداد هبوب الريح وسرعة مجراهُ يسببان تخفيفاً في ضغط الهواء . فاذا كان اديم السماء صافياً وارتفع البارومتر فذلك دليل على أنهُ لا تهبّ ريحٌ شديدة في طبقات الجوّ السفلى . امَّا اذا هبط الميزان فهبوطهُ يدلّ على وجود ريحٍ مختلفة الشدَّة في تلك الطبقات ولعلها تنحدر الى حيث يرصد الراصد ميزانَ ضغط الهواء فيُشعَر بها .

٣ اختلافات البارومتر القياسيَّة

ما خلا هذه الاختلافات العرضيَّة الذي سبق عنها الكلام يحدث في البارومتر اختلافات اخرى قياسية يومية وهي ناتجة عن تمدُّد الهواء وتقلُّصهِ في فصول السنة من جرَّاء سخونة الشمس وتأثيرها في الجوّ . ولاتحاد الاقاليم المعتدلة نفسها من هذه الاختلافات اليومية لكنها تختلط بالاختلافات العرضية المتواترة فالتمييز بينهما ليس بامرٍ سهل

ولكن ثبت بالاختبار انَّ البارومتر يرتفع ويهبط كل يوم مرَّتين . فيصعد اوَّلاً الى معظم ارتفاعهِ صباحاً من الساعة التاسعة (افرنجية) الى الساعة العاشرة . ثم يهبط شيئاً فشيئاً الى ان يبلغ معظم هبوطهِ بين الساعة الثالثة والخامسة مساء . ثم يعود الى الارتفاع فيبلغ معظمهُ بين الساعة العاشرة والحادية عشرة . ثم يهبط ثانيةً فيتناهى هبوطهُ بين الساعة الثالثة والرابعة . وعليه فانَّ للبارومتر معظمَين : ارتفاع ومعظمَين هبوط يُستدلّ عليهما بصعود الزئبق في المقياس او هبوطهِ . وهذه الاختلافات البارومتريَّة عند خطّ الاستواء اكثر قياساً منها في غيرها من البلاد . وسعة هذه الحركة تتناقص على قدر ابتعادك من خطّ الاستواء او دائرتي الانقلاب الى ان تبلغ الدرجة ٥٤ عرضاً فلا يبقى لها أثر لان عظم الاختلافات العرضيَّة واشتداد شططها واتّساعها تغلب عليها وتمحيها

٢ الاستدلال على تغيُّر احوال الجوّ

قد رأيت في ما سبق انَّ الرطوبة ولا سيَّما وجهة الريح تسببان اختلافات البارومتر العرضية . ولمَّا كانت علاقة كبيرة بين هاتين العلَّتين وصحو الجوّ او اعتكارهِ ربَّما رُصِد البارومتر لمعرفة ما تصير اليه حالة الجوّ في الايام المقبلة أتكون السماء صاحية ام لا

وهنا ملاحظة مهمَّة لا بُدَّ من تكرارها وهو انَّ غاية البارومتر الاولى انما هي معرفة ضغط الهواء وثقله وانَّ ارتفاع الزئبق وهبوطهُ ينتجان عن زيادة هذا الثقل او نقصانهِ .

فاذا كان التغيّر الطارئ على حالة الجوّ يتّفق في اغلب الاحيان مع اختلاف ضغط الهواء فليس هذا الاتّفاق امرًا واجبًا لازمًا

فانّ من رصدوا البارومتر في اوربّة عاينوا ارتفاع الزئبق في المقياس وقت الصحو وهبوطهُ في اوقات المطر. وعلّلوا النسبة بين حالة الجوّ ودلائل البارومتر بأن قالوا ان الريح الحارّة اذا ما هبّت بعد ريح باردة أتت بكميّة من الهواء المتخلخل وهو اقلّ ثقلًا من الهواء البارد عند تساويهما في المرونة فيهبط لذلك الزئبق. واذا عقبت بخلاف ذلك ريحٌ باردة ريحًا حارّة ارتفع. والحاصل انّ المقياس يهبط في اوربّة اذا عصفت الريح الجنوبية او الريح الجنوبية الغربية ويتصاعد عند هبوب الريح الشمالية او الشمالية الشرقية

والريحان الأُوليان تأتيان في الغالب بالمطر لمرورهما فوق بحر الاوقيانوس الاتلانتيكي فتتشرّبان لذلك رطوبةً واذا دنتا من بلادٍ باردة تتقلّصت أبخرتهما وانحدرت ... امّا الريحان الأُخريان فهما ناشفتان باردتان تأتيان بالصحو. لكنّ هذه الاحوال اوربّة الغربية لما هي عليهِ من الموقع الجغرافي امّا غيرها من البلاد فتختلف احوا... اختلاف موقعها. مثال ذلك انّ الرياح الحارّة التي تهبّ في هولندة الجديدة من جهة البرّ تأتي بالجفاف وتُهبط البارومتر. وترى هذا المقياس يرتفع على ضفّة نهر البلاتا عند هبوب الريح الشرقية وهي هناك الريح المُمطرة

ومع ما سبق ذكرهُ قد استند الطبيعيّون الى ارصاد عديدة قابلوا فيها بين ارتفاع البارومتر وحالة الجوّ واثبتوا انّ من خواصّ البارومتر تعريفَ الوقت سلفًا من حيث الصحو او المطر وذلك ترجيحًا لا حتمًا. وعليهِ فقد كتبوا عند تقاسيم مقياس البارومتر الفاظًا تدلّ على حالة الجوّ على الترتيب الآتي فانّهم يرسمون اوّلًا لفظة «متقلّب» (variable) عند التقسيم الـ٧٥٨ مليمترًا من تقاسيم البارومتر ثمّ يكتبون بعد كلّ تسعة مليمترات تحت الدرجة المذكورة او فوقها في بارومتر الزئبق وشمالًا او يمينًا في البارومتر المعدني احدى الدلالات الآتية: مطر او ريح (عند التقسيم المرقوم ٧٤٩ مليمترًا) — مطر جودٌ (٧٤٠ مليمترًا) — عاصفة (٧٣١ م) = صحو (٧٦٧) — صحو ثابت (٧٧٦ م) — صحو بجفاف (٧٨٥ م)

لكنّ هذه الدلالات على تقلّبات الجوّ لا تصحّ الّا في باريس او لبلاد علوّها كعلوّ باريس او قريبٌ منهُ. ويجوز ان يقال على وجه العموم ان هذه الدلالات تصدق في الحلّ

الذي لاجلهِ نُظِّمت دلالات البارومتر وهي لا تصدق في غيرها من البلدان التي يختلف اعراضها وارتفاعها من ذلك الموضع

ولادراك ما قلنا فلنفترض ان بارومترًا معدنيًا نُقِل من باريس حيث كان عقربهُ يدلُّ على التقسيم الـ ٧٦٠ مليمترًا الى ناحيةٍ اخرى علوُّ موقعها ٣٥٠ مترًا فوق علوّ باريس فترى العقرب يدلّ على تقسيم آخر مثلًا ٧٢٥ مليمترًا. واذا كانت السماء رائقةً صافيةً في ذلك الموضع ترى العقرب تحت التقسيم الدالّ على المطر. واذا كان الوقت متقلبًا هبطت الابرة ودلَّت على العاصفة. الى غير ذلك من الدلالات الكاذبة المسبَّبة عن عدم تروّي الراصدين. ولعلّهم يرون الابرة تدلّ على مطر مستديم بينما جبينهم ينضح عرَقًا من شدَّة حرارة الشمس الساطعة. وعليهِ فتراهم ينبذون البارومتر ظهريًا ويلقونهُ حنقًا في زاويةٍ كأنَّهُ لا خير فيها ويشتمون مجهّزها وينسبون لمكرهِ وخداعهِ ما يتأَتَّى عن جهلهم وعدم خبرتهم. ولو سخت نفسهم باقتناء بارومتر آخر لما وجدوا دواء لدائهم فهم ابدًا مغرورون بدلالاتهِ يؤدّي بهم غضبهم الى ان يلعنوا البارومتر وواضعهُ والمبتشير بهِ

ولقائلٍ ان يقول انَّ ذلك فتقٌ يمكن رتقهُ وخللٌ يسهل اصلاحهُ اذ يكفي ان تُزاح الابرة عن موضعها فتُقدَّم يمينًا او تؤخَّر شمالًا الى ان توافق دلالتها على حالة الجوّ

(قلنا) انَّ في ذلك شططًا ولا يمكن ضبط البارومتر على هذه الطريقة وذلك لانَّ سعة الاختلافات البارومتريَّة ليست هي ثابتةً متساويةً في كلّ الانحاء بل تختلف اختلافًا يُذكر في كلّ بلدةٍ. فاذا اختلفت اعراض البلاد كان اختلاف هذه السعة مهمًا ويقلُّ هذا الاختلاف اذا اختلفت اطوال البلاد. امَّا ارتفاع البلاد فيكون سببًا قويًا للاختلاف المذكور. مثال ذلك ان سعة حركة الابرة يبلغ في باريس ٤٠ مليمترًا بين دلالتها على العاصفة (٧٣٠ مليمترًا) ودلالتها على الصحو الثابت (٧٧٠م). فاذا اقتربتَ من اسبانية وجدت ان سعة سَيرِ الابرة بين الصحو والعاصفة لا يتجاوز الثلاثين مليمترًا. فاذن لو غيَّرتَ موقع الابرة لما صحَّت دلالتُها لانَّ حركتها يمينًا او شمالًا لا توافق مطلقًا الدلالات التي وُضِعت لاجلها في باريس وتكون ايضًا الدلالات كاذبةً حتى مع هذا التغيير. ومن اراد تصليح آلتهِ يُقتضى عليهِ ان يمحو الالفاظ الدالَّة على حالة الجوّ ويرسمها ثانية ويقرّبها او يبعدها على حسب البلد الذي هو فيهِ. واذا انتقل الى محلّ آخر يُقتضى عليهِ ايضًا تغيير موضع هذه الدلالات في الآلة وهلمَّ جرًّا

ولعلّ القارئ يسألنا أليس اذًا دواء لهذا الداء او لا يمكن الانتفاع بالبارومتر في غير المكان الذي جُهّز به

(نجيب) ليس الامر كذلك والبارومتر يصلح حقيقةً لتعريف الوقت المقبل بشرط ان لا يُبالي الراصد بالالفاظ المطبوعة الدالّة على المطر او الصحو الى غير ذلك من الدلالات الكاذبة التي لا تطابق واقع الحال.

واعلم انّ ما يدلّ على وقوع التقلّبات في الجوّ ليس هو صعود البارومتر لانّ هذا التصاعد يتوقّف خصوصاً على علوّ البلد فوق سطح البحر فبقدر ما ترتقي الى الجبال يزيد مقياس ضغط الهواء هبوطًا. واذا انحدرتَ الى شاطئ البحر او نزلت في سربٍ عميق فترى هذا المقياس مرتفعاً. اما الذي يُقتضى رصدهُ للوقوف على حالة الجوّ انّما هي حركات الزئبق في هبوطهِ او صعودهِ في مقياس الزئبق او حركات الابرة يمينًا او شمالًا في البارومتر المعدني. والسبب لذلك انّ هذه الحركات العرضيّة تحصل من مرور طبقات من الهواء الرطب او الناشف على مقربةٍ منّا فوجود هذه مجاري الهواء تُؤذن بقرب وقوع المطر او بالجفاف. فلا بُدّ اذًا من رصدها لنوال الغاية المبتغاة (١

ومن اراد ان يقف على معرفة قرب تغيير الوقت ينبغي عليهِ فضلًا عن معاينة ار‍ الزئبق حالًا ان يفحص كيف اختلف قبلًا ارتفاعهُ وكيف علا الزئبق في الانبوب او تحركت الابرة على المينا من حيث البطء او السرعة

فاذا صعد البارومتر او هبط على طريقة بطيئة وقياس ثابت مدّةً يومين او ثلاثة فدلالتهُ على تغيير حالة الجوّ تكون في اغلب الاحيان صادقةً او ذات ارجحية عظيمة. اما حركات البارومتر السريعة فاكثر ما تدلّ على قرب تغيُّرٍ في حالة الجوّ فاذا هبط الزئبق سريعًا فالمطر على وشك النزول واذا بالغت سرعتهُ في هبوطهِ فلا مناص من العاصفة والرياح الشديدة. وبقدر ما تكون سرعة هبوط البارومتر تزيد ايضاً شدّة الاختلافات الجويّة. اما مدّة دوام حالة الجوّ المطرة فهي تزيد على قدر ثبات البارومتر وبُطئهِ في هبوطهِ

ولا تظنّ انّ الصحو قريب اذا رأيت البارومتر يرتفع بسرعة كلّية فانّ سرعتهُ هذه بالاحرى دليل على انّ المطر سيعود في اليوم التالي. أجل ان البارومتر في ارتفاعهِ اسرع منهُ في هبوطهِ لكنّ هذه السرعة تختلف فتكون تارةً ازيد وتارة اقلّ

١) راجع De Parville : *Causeries scientifiques*, 1873

والنتيجة مما سبق ان كيفية حركات البارومتر اليومية او السريعة السابقة من شأنها وحدها ان تفيدنا ما سيطرأ على الجوّ من التغيُّرات والتقلُّبات

٣ تعريف علوّ الجبال

قلنا انَّ للبارومتر فائدةً ثالثة وهي تعريفهُ لعلو الجبال. ولا يخفى انَّ علوَّ المحلّ هو ارتفاعهُ عموديًّا فوق سطح البحر. هذا وقد سبق انَّ ما يُصعِد الزئبق في القياس انما هو ثقل الهواء، وضغطهُ فاذا صعدت في الجوّ ترى عمود الزئبق يهبط على قدر ارتفاعك وذلك لانهُ يُبطل ثقل طبقات الهواء السفلية فيخفُّ بذلك مجموع ثقل الجوّ وينخفض البارومتر

واعلم انهُ لو كانت كثافة الهواء لا تختلف في كلّ طبقات الجوّ لدلَّنا الحساب بطريقة سهلة على قياس علوّ كلّ مكان بمعاينة قدر هبوط الزئبق في القياس. لأنَّنا نعرف انَّ الهواء اقلّ كثافة من الزئبق بنحو ١٠٥٠٠ مرَّة. فاذا وجدنا مثلًا انَّ البارومتر هبط مليمترًا فذلك يدلُّ على ان عمود الهواء الجوّي الموازي لعمود الزئبق قد نقص ١٠٥٠٠ مرَّة اعني يجب ان يُضرَب المليمتر بهذا العدد فالحاصل عشرة امتار وخمسة دسيمترات. واذا رأيت انَّ عمود الزئبق هبط مليمترين او ثلاثة مليمترات او اربعة اضربها بالعدد السابق فتجد ان العلوّ يكون مرَّتين او ثلاث مرَّات او اربع مرَّة عشرة امتار وخمسة دسيمترات وهلمَّ جرًّا

ولكن كثافة الهواء تخفُّ بقدر ارتفاعك في الجوّ فلا يصحُّ الحساب السابق الَّا في الاماكن القليلة العلوّ

واذا كانت الخطوط العموديَّة بين موضعين متقاربة فالأَولى ان يُرصد الموضعان في وقت واحد لئلا يقع في الرصد اختلافات عرضية فيقوم راصدان واحد في حضيض الجبل والثاني في قمته فيرصدان القياس في وقت واحد وبمعاينة الاختلاف الموجود بين ارتفاع عمود الزئبق في الآلتين يمكنهما معرفة علوّ ذلك الموضع

واذا صار الرصد في ساعات مختلفة فينبغي لضبط القياس ان يعود الراصد الى الموضع الذي بدأَ فيهِ الرصد ليتحقَّق انَّ ضغط الهواء لم يتغيَّر. فاذا وجدهُ مختلفًا لا بُدَّ من تكرير الرصد ثانيةً

وقد استخرج الفلكيّ الشهير لابلاس عبارةً جبريَّةً عمومية يرقب خلُّها على ارتفاع ايّ

موضع كان ضبط تامّ لا يكاد يغلط فيهِ مترًا واحدًا وقد اعتنى بعبارتهِ (عمليّة) هذه ألّا يدع شيئًا من الاسباب التي تحدث تغييرًا في كثافة الهواء. والعبارة كما يأتي:

(ك = ١٨٣٩٣ مترًا (١+٠,٠٠٢٨٣٧ سهم ٢ ع) (١+٢ (ح+حَ)/١٠٠٠) لوغرثم رَ/ر)

ك = الفرق بين علوّ موضعي الرصد

ع = عرض المحلّ

ح ر = حرارة وارتفاع المقام الاسفل

حَ رَ = حرارة وارتفاع المقام الاعلى

كتاب تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

وقد وجدتُ منشورًا من الملك الاشرف خليل بن قلاوون «باسم ناصر الدين الحُسين وشهاب الدين احمد ابن عمهِ حيجي المستجدَّين في الخدمة في الحَلْقة الشاميَّة (١» والجهات المذكورة في المنشور قدرون ورمطون وطردلا وعين كسور (٢ يُرجع بذلك ما كان اخذهُ عثمان في ايام الملك المنصور قلاوون. وتاريخ المنشور اليوم الثالث من ربيع الاوَّل سنة احدى وتسعين وستمائة (١٢٩٢ م). والظاهر لنا انَّ هذا اول منشور كُتب باسم المذكورين لانهُ قال في المنشور انهما «مستجدَّان بالخدمة وخاصَّتهما ثلاثة طواشيَّة (٣»

واما ناصر الدين فقد كُتِب لهُ منشوران بالإمرة وكلاهما من الملك الناصر محمد بن قلاوون. (الاوَّل) لمَّا اخذ الإمرة عن شمس الدين كرامة بن بحتر بعد وفاتهِ وكانت خاصَّتهُ

---

١) الحلقة الفرقة من الجند يقومون بحراسة السلطان او الامراء الكبار

٢) مرَّ ذكر هذه القرى

٣) قال المقريزي في الخطط: الخدَّام الملوكيَّة يُعرَفون اليوم في الدولة التركيَّة بالطواشية اسدهم طواشي وهذه لفظة تركيَّة اصلها بلغتهم طابوشي فتلاعبت بها العامة وقالت طواشيّ وهو الخصيّ. (اه). وكانت امرة الطواشيَّة من رُتب دولة الجراكسة في مصر

عشرة طواشيّة. وجهات المنشور عرامون ومزارعها وحير شالا (١ وكيفون (٢ ويصور وثلث عين عنوب وثلث كفرعَمَيْه وثلث بتاثر. ومرتعون (٣ ومن القريديس (٤ فدّانٌ وثلث عين عناب وثلث قطع ارض من العمروسيّة (٥ وبركة شطرا (٦ ومغدلا (٧ وثلث المُلك بجلدا. تاريخهُ تاسع صفر سنة سبع وسبعمائة (١٣٠٧ م)

امّا (المنشور الثاني) فكُتب سنة دوك (٨ علاء الدين بن معبد وتغيير احوال الاقطاعات فحصل للسلف تعب (41r) وسَعْي زائد حتى ابقوا اقطاعهم على حاله لم يبدلوهُ بغيرهِ كما جرى للناس جميعاً فكُتبت للسلف مناشير جُدُد باقطاعاتهم القديمة لم يبدلوا منها جهة واحدة سوى أنهم زادوا عدةَ الجُند وزادوا في غيرهِ الاقطاعِ. فالمنشور الثاني الذي كُتب لناصر الدين يذكر فيهِ تمييز العبرة (٩ وزيادتها فجعلوا خاصّتهُ اثنين وعشرين طواشيًا وكانوا عشرة قبل الدوك كما ذكرنا. وأمّا جهات المنشور فلم تتغيّر. وتاريخهُ في الرابع من جمادى الاولى سنة اربع عشرة وسبعمائة (١٣١٤). وجهات هذا الاقطاع كانت بيد جمال الدين حجي بن نجم الدين محمد. وانقلبت الى زين الدين ابن علي ثمّ الى اولادهِ ثمّ الى شمس الدين كرامة بن بحتر ولد ولدهِ الذي اخذهُ عنهُ ناصر الدين الحسين. ويجب ان نذكر لمًا من اخبار اقطاع السَّلَف الى زمن الدوك المذكور. كان السلف قديمًا واضعين ايديهم عليها وكتب لهم بها مناشير من الملوك كما ذكرنا (١٠ فما زالوا على ذلك

---

١) كذا في الاصل «حير شالا» وقد مرَّت كتابتها «حير شالا» اما صاحب اخبار الاعيان فرواها (ص ٢٣٣) «حير وبشالا»

٢) كيفون من قرى الغرب الاعلى العامرة الى يومنا وهي بالقرب من عيتات

٣) لم نعرف موقعها. وفي كتاب اخبار الاعيان (ص ٢٣٣) كتبها: مرتتون

٤) القُرَيديس من اقليم الخرّوب

٥) سبق انّها من اراضي الشويفات (ص ٢٦٣)

٦) افادنا جناب رشيد افندي الشرتوني انَّ بركة شطرا مزرعة قريبة من يصور ما بينها وبين بجدليا.

٧) في الاصل «مدلّا» والصواب كما روينا (راجع اخبار الاعيان ص ٢٣٣)

٨) الدوك هو تعريف مسح الاراضي وتثمينها (cadastre)

٩) يظهر من سياق المعنى ان العبرة كالاقطاع (apanage) او تخمين الحاصلات وبهذا المعنى وردت في تاريخ المماليك للمقريزي

١٠) جاء في الاصل ما نصّهُ: «حاشية. قلت وربّما كان السلف المتقدمون قد وضعوا قديمًا

الى سنة تسع وثمانين (١٢٩٠ م) في ايام المنصور قلاوون حيث فُضِّل بنو تنلب من مشغرا (١ على الجبلية بصيداء وبيروت فاخرجوا ما بايديهم من الاملاك والاقطاعات المحلّلة بطرابلس عند فتوحها. ومن جملة ذلك اقطاعات السلف. وكان الاغلب عليها انهم تملكوها من عهد بحتر بن علي الاول بمحاضر (٢ شرعية مُثبتة مُنفّذة من قاضٍ الى قاضٍ. والمحاضر موجودة (٣ 41) في عهدنا هذا. فلمّا اخرجها المنصور قلاوون لم يكن لنا عِبرة ولم يقرّر عليها عدّة جند ولا دوك. فلمّا استرجعوها ايام الاشرف خليل بن قلاوون وفي اوائل ايام اخيه الناصر محمّد بن قلاوون جعلوا لها جندًا معلومًا ودركًا ببيروت. واستمرّ على ذلك الى وقت الدوك سنة ثلاث عشرة وسبعمائة (١٣٢٢م) وهي اول نيابة تنكز في الشام.

فلمّا حضر علاء الدين بن معبد الى بلاد صيداء وبيروت واداكها حصل منهُ جَنَف على الغرب. والدوك يُقتضى منهُ تبديل الاقطاعات ومناقلاتها من مقطع الى آخر فخشي ناصر الدين من ذلك وتوجّه الى دمشق وسأل ملك الامراء في التوجّه الى مصر صحبة المتوجّهين بالزول (٣ فاجابهُ الى سؤالهِ

ووقفتُ على كتاب بخطّ ناصر الدين الى ملك الامراء مضمونهُ بعد البسملة الشريفة (٤ : «ان المملوك (٥ الحسين ابن امير الغرب يقبّل الارض وينهي الى مقامكم

ايديهم على البلاد بغير مناشير من قبل سنة عشرين واربعمائة (١٠٣٩م) ولم يتعيّن لهم مناشير سوى من ايام بحتر بن علي الذي بدأنا بذكرهِ وايامِ بنيهِ. وربّما لم يعرفوا دَرَكًا ولا ثاغرةً ولا عدّة جندٍ ولم يقرّروا عليهم عبرة اقطاع ولا غيرهُ. ثمّ في دولة الملك العادل نور الدين جعلوا لهم عدّة جند كما ذكرنا. وذلك في ايام المنصور قلاوون لمّا خرجت الاقطاعات فاسترجعها الملك بعدّة جند ودوك على بيروت. ولمّا كان الدوك ترايدت العبرة وعدّة الجند واستقرّ المُلك اقطاعًا والله عالم بما خفي وما ظهر وهو على كلّ شيء قدير. ووقفتُ على مراسيم من الملوك المتقدّمين على عهد قلاوونَ المنصور تتضمّن انهُ ليس لاحد حقّ في ان يعارض امير الغرب في املاكهِ ولا يغيّر عليهِ عادةً ولا يُحدث عليهم رسماً سوى ما قرّر عليهم وهو قَدْر قليل لعلهُ قريب سبعمائة درهم تُحمل الى ديوان الشام شبه العشر او حول الاراضي او حكر وكذلك ذكروا في كتب الاملاك وجعلوا على كلّ قرية مبلغًا مقرّرًا وهو قَدر قليل يحمل الى الديوان المعمور

١) مشغرا من كبار قرى اقليم الشوف الباضي في غربي البقاع

٢) المحضر الصك والسجلّ   ٣) كذا في الاصل ولعلّهُ تصحيف «الدوك» الذي مرّ شرحهُ

٤) راجع هذا المنشور في تاريخ الاعيان (ص ٢٣٢) وبين النصّين بعض اختلاف كما ترى   ٥) لفظة المملوك من الالفاظ المستعملة في الرسائل القديمة ايذانًا بتذلل الكاتب كما يقال في يومنا «العبد والفقير» الخ

ان المملوك واقاربهُ ملتزمون بحفظ ثغر بيروت المحروسة وهم مجتهدون في خدمة مولانا السلطان خلّد الله ملكهُ وان غالب اقطاعاتهم التي يضعون الايدي عليها هي من املاكهم الثابتة بالشرع الشريف وهي معهم الآن بعدَّة ثلاثين فارساً وكانت لأبهات (١ المماليك بثلاثة ارماح الى حين أُقطعت املاك الجبليّة. ولمَّا رُسِم بكشف البلاد تميَّز فيها الذي كان المماليك يوفرونهُ بسبب الرجال الذين يُساعدونهم على حفظ الثغر. وانَّهُ متى دخلت هذه الاملاك (42^r) في الدرك تهلك المماليك ولا ينتفعون بغيرها لأنها مساكنهم وبها رجالهم ومشيرتهم. وسؤالهم من صدقات مولانا ملك الامراء ان يتصدَّق عليهم بمطالعةٍ على يد المملوك الى الابواب الشريفة. وبما اقتضاهُ رأي مولانا ملك الامراء من إلزامهم بزيادة عدة تحملها طاقتهم التزمهُ المماليك وما لهم الّا الله تعالى ومراحم مولانا ملك الامراء عزَّ نصرهُ أنهي الحالُ والرأيُ اعلى واسمى والحمد لله وحدهُ »

وجواب هذا الكتاب مكتوب في جانب الرسالة السابقة في الهامش وهو: « اذا كملت الاوراق والكشوف ولم يتوقَّفا عائق تُكتَب على يدكم مطالعة بصورة الحال وتتوجَّهون الى الباب الشريف ومهما برز بهِ الامر المطاع يكون الاعتماد عليهِ »

ثمَّ قصد ناصر الدين التوجُّه الى مصر على الساحل. فأُخبِر علاء الدين بن معبد نائبَ الشام انَّ اميرَ الغرب توجَّه الى الباب الشريف ليقضي شغلهُ بغيرِ رخصة ملك الامراء. فرسم هذا بابطال توجّه ناصر الدين الى مصر وكتب لهُ مطالعة الى السلطان ذكر فيها قِدَم املاك امراء الغرب فرسم السلطان أنها تستمرّ بايديهم وانَّ الذي زِيدَ فيها يزاد في عدَّة الجند نظيرهُ. فوجدوهُ النصف لحضرت المناشير بعد [illegible] لعدَّة وهي اثنان وستون جنديًا

(ستأتي البقية)

السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب ايل رينو اليسوعيّ (تابع لما سبق)

وكان ركاب الدرجة الرابعة على الباخرة الافرنسية المدعوة « كونغو » عديدين جدًا حتى

١) كذا في الاصل ونظنهُ الصواب بريد أنَّهم كانوا يتّخذون هؤلاء الفرسانَ للأُبَّهة وشرف الإمرة. وجاء مثل ذلك في تاريخ المقريزي. وقد رُوِي في اخبار الاعيان: « وكانت لأبَّهتهم »

كانوا كالسنا. المرصوص بعضهم فوق بعض وجميعهم جالسون تحت خيمة من النسيج الغليظ لا تقيهم تغيُّرات الجوّ. فلما نزل فاضل الى الباخرة انخرط في سلكهم وجلس بينهم وكان قد تزوَّد معهُ بعض رؤُوس من البندورة الفجَّة فاخذ يقطعها بيديهِ ويأكلها مع الخبز. وريثما اقلعت الباخرة حوَّل نظرهُ الى بيروت فرأى لها من البحر مشهداً بديعاً يفتن العين كيف لا ودورها البيضاء كانت تبين كصفوف بعضها فوق بعض ونور الشمس الضارب عليها يزيدها جمالاً ورُواءً. ثم تطلَّع الى بعيد فشاهد جبال لبنان والضباب واقفاً على قممها كأنهُ يصرع اكليلاً منيرًا فوق جبالها العالية. وامعن النظر فيها فرأى القرى منبثَّة في جوانبها فاعجبهُ هذا المنظر كثيرًا وقد لمحت لعينيهِ من بعيد قرية غزير وسرَّح الطَّرف في جونية وأبنيتها الجديدة يعلو فوقها قصر بكركي كرسي البطريركية المارونية ثم بكفيا وبرمانا وبيت مري وعاليه وغيرها من القرى

وقد مرَّ أنَّ محبة الذهب اعمت بصيرة فاضل فضحَّى من اجلها لذَّة الحياة وسعادة العيشة العائلية وهدوَّ الفكر. ولشتَّان بين بيتهِ في القرية على حقارتهِ وبين الباخرة التي كان الركاب فيها بازدحام كلّي وليس منهم من يستطيع ان يتحرك او يتنفس على هواه

ففي بيتهِ كانت لهُ غرفة صغيرة حسنة التجويد ولم يكن الهواء ليدخلها وقت هبوبهِ ولا ينفذ المطر من سقفها لان سطحها كان مرصوصاً جيداً. امَّا في الباخرة فكانت الريح تتلاعب ايَّما تلاعب بالخيمة التي لجأ تحتها عدد عديد من نساء واولاد وشيوخ وشبَّان. وكان الاولاد يبكون ويصيحون خوفاً من زئير الامواج وقعقعة آلات البخار والأمهات يجمعنَ بعض اسمال ويرقدنَ اطفالهنَّ عليها ناهيك عمَّا تجمَّع في ذاك المحل من الاوساخ والاقذار مدة عشرة ايام وعشر ليال متوالية قضاها الركاب على ظهر السفينة

هذا مع ان الوقت في اواخر تشرين الثاني يكون جيداً والطقس معتدلاً. فاذا بالحري كان يحلّ بهم لو سافروا في ايام الشتاء في حين ان المطر يتساقط على تلك الخيمة التي ينفذها الماء. وامواج البحر في هياج والريح في زئير. فان فاضلاً رغماً عمَّا هو متصف به من القوة والعافية قد تندَّى بالعرق البارد واصطكَّت رجلاه واصابهُ هدامٌ شديد كاد يخرج قلبهُ من صدره مع ان البحر لم يكن مضطرباً اضطراباً يُعتدُّ بهِ. ومرَّ في تلك الاثناء احد النوتية فلما سمع شهيقهُ دفعهُ الى طرف المركب

وظلَّ فاضل على هذه الصورة. بينما كانت السفينة تواصل مسيرها. ولما وافى الليل

قوي على الانسحاب الى الحصيرة التي كان قد افترشها فرقد عليها وهو يتفكر في الفراش الذي كانت تمدهُ لهُ والدتهُ كل مساء في بيته

ولما طلع صباح اليوم التالي رست السفينة تجاه يافا فافاق فاضل متوجعاً متألماً. وبعد هنيهة طلع اليها عدد من اليهود ومعهم كثير من البضائع القدسية واخذوا يعرضونها على المسافرين ليشتروها. وكان مع فاضل ايضاً شيء من هذه البضائع غير انهُ كان قد اشتراها من بيروت قاصداً ان يبيعها في اميركة كأنها صادرة من الارض المقدسة. فعندها بكتهُ ضميرهُ على الخدعة التي ازمع ان يغش بها المسيحيين في العالم الجديد ولكنهُ ما لبث ان اطمأن وصار يحدث نفسهُ قائلاً اي فرق بين ان تكون البضائع من القدس او من بيروت او ليس ان بيروت قريبة جداً من فلسطين بالقياس الى اميركة. وبعد هذا وهذا ألا يسوغ للمرء ان يستعمل الوسائل الكافة بتحصيل معاشه

ولكن يا لشقاء فاضل فانهُ كان كلما ابتعد عن بيروت تنطفئ في نفسه انوار الشواعر الشريفة والعواطف الحقة ولو انهُ نظر وتفكر الى المستقبل نظرة رجل حر لكان رجع عما هو بصدده ولاثر ان يعيش في قريته على ان يتذرع الى تحصيل اسباب المعاش بالخديعة

ومر عليه ذاك النهار بالضجر والسأم غير انهُ لما انتهت الباخرة الى بور سعيد واخذت تسير على مهل بين ضفتي القناة تمكن من التجوال على ظهرها بسكينة واطمئنان وما مضت مدة يسيرة حتى وصلت الى مياه الاسكندرية وحينئذٍ ساقها مدير السكان في المضيق المؤدي الى الميناء. وهناك قبل ان ترسو بل قبل ان يكف الدولاب عن الحركة رقي اليها على الحبال جماعة من الحمالة يخلتهم كقرصان البحر وقتما يهاجمون مركباً عدواً وكان لهم صياح وعياط يشق الآذان اما فاضل فتريث ريثما هدأت الحال وعاد النظام الى مجراه فركب زورقاً ونزل الى الاسكندرية ليتفرج في شوارعها ويشاهد بناياتها فأول ما رأى منها شارعان عريضان لم يقع بصرهُ على مثيلين لهما في بيروت

فاخذ يجول فيهما ويتعجب مما ضماً من المخازن الجميلة التي لم يكن يشبع من التطلع فيها ولذلك كان المارة يصدمونهُ في مسيره ولم يكن هو ليرفع نظرهُ منها. ولقد زاد افتتانهُ وتعاظم عجبهُ ودهشهُ لما صار امام القهاوي الكائنة في الساحة المعروفة بساحة رشيد لكونها شبيهة بقصور يتدفق منها الضياء بما فيها من المرائي البلورية والصور البديعة والثريات الانيقة التي تنعكس منها الالوان المختلفة وحينئذٍ بانت لهُ حقارة القهوة المنشأة في

قريته حيث كان يجلس احياناً ليتناول كأساً من العرق. وبعد ان تردّد طويلاً دخل احدى تلك القهاوي وجلس فيها الى جانب احدى الطاولات فما وقعت اعين الجالسين هناك عليه حتى عرفوا من هيئته انهُ مبهوت وأخذوا يضحكون عليه في سرّهم

وما طال الامر حتى وفد عليه خادم حسن اللباس نظيفهُ فقام لهُ فاضل فهمّ الخادم بالضحك ولكنهُ امسك نفسهُ وقال: لقد اخطأت يا خواجه ولذلك قاصد غير هذا المحل وأشار لهُ باصبعهِ الى شارع ضيّق يؤدي الى قهوة يجتمع فيها السّاقة ومن شاكلهم للتدخين بالنارجيلة. فتنحّى فاضل وهو ناكس الرأس خجلاً وفهم ان ملابسهُ الخشنة لم تكن لتؤهلهُ لجلوس بين اصحاب الككسي الافرنجية. ومن ثمَّ عزم ان يستبدلها في ثاني يوم خالعاً عنهُ آخر اثر يدلّ على اصلهِ اللبناني وهكذا يصير كبقيّة القوم المتمدّنين ويحقّ لهُ الجلوس في تلك القهاوي بلا معارضة. وما درى أنها مجلبة لدمار الصحة وفناء الاموال

ولمّا خرج من القهوة ذهب هائماً على وجههِ وهو حزين القلب كاسف البال واخذ يتنقّل من شارع الى شارع ومن طريق الى أخرى دون ان يهتدي للرجوع الى الوكالة. وخاف فوات الوقت فسأل احد المارّة ان يرشدهُ الى مطلبهِ فاجابهُ الى ما سأل ببشاشة وما زال يمشي امامهُ حتى اوصلهُ الى الرصيف. وحينئذٍ طلع الى الباخرة وكان الجوع قد أثّر فيهِ فتناول رغيفاً ورأساً من البندورة واخذ يأكل بنهم وهو يتأمل في تقلّبات الحياة وحوادث الدهر

وصباح الاثنين رفعت السفينة مرساتها وأطلقت بخارها ومخرت العباب سائرةً في وجهتها وانقضى ذاك النهار على ركاب الدرجة الرابعة بصفاء وسرور. ولكن ما طلع صباح الثلثاء حتى جرى حادث مزعج أورثهم مزيد الكدر وهو ان امرأة سورية كانت في جملة الركاب المسافرين الى اميركا طلباً الرزق قضت نحبها على ظهر الباخرة. وكان فاضل قد شاهدها قبل يوم وفاتها وتحدّث معها في امور المستقبل فعظم عليهِ مصابها واخذ يتأمل بأسف في جثتها وهو حزين على موتها بعيدة عن الاهل والاصحاب الذين لم يكن منهم هناك احد حتى يغمض عينيها لاسيما لما عرف من البحارة سيدرجونها في كفنها ويزجّونها في البحر ليكون مدفناً لها

وبينما كانت الافكار تتجاذبهُ والهواجس تتنازعهُ مرّ ربّان الباخرة وعلى وجهه امائر الاهتمام وتلاهُ الطبيب فجسّ تلك الجثة الباردة وبعد فحصها حكم بان علّة الوفاة كانت

حمّى سريعة راقتها قلّة العناية واتعاب السفر. وأُتيح بعض النوتية كحفر فتنوا كلّ مواصلة بين مقدم المركب ومؤخره حتى لا يعلم الركاب بما جرى. ثم اقبل الليل وكان شديد الظلمة بما انتشر فيه من الضباب الكثيف فخاط النوتية كيساً ضيّقاً وادرجوا فيه جثة السوريّة المسكينة وحملوها الى حافة الباخرة فحينئذٍ تقدم الربّان وكشف النوتية رؤوسهم واتفق وجود مرسل افرنسي كان عائداً الى فرنسة فبادر الى المحلّ ليبارك الجثة وبعد ان تلا بعض الصلوات ورسم اشارة الصليب صفر احد النوتية فوضعت الجثة على لوحة وعلّقت في الرجل كرة من الرصاص وأُلقيت في مياه البحر التي انفتحت لابتلاعها ثم انغلقت عليها الى الابد

وبعد ان حضر فاضل مع سائر رفقائه الركاب هذا المشهد المحزن جلس تحت الخيمة وشخص ببصره الى المياه وجعل يغوص في بحار التأملات ويقول في نفسه ما يدريني اذا كنت ألاقي منيّتي في السفر ويكون حظّي كحظّ هذه المسكينة فتطرح جثتي في المياه فتتقاذفها الامواج وتصير طعاماً للاسماك والحيتان. آه ياليتني لم اركب البحر ولم افارق بيتي

ثمّ زادت اشجانهُ وخنقتهُ عبراتهُ لمّا خطرت على بالهِ والدتهُ واخذ الخيال يمثّلها لعينيهِ كيف أنّها تنتظرهُ مساء كل يوم عند منعطف الطريق وكيف تدخل بيتها منقبضة القلب لفراقه وكيف تصرخ وتولول وتمزّق ثيابها اذا ما انتهى اليها خبر وفاته فتلوم نفسها على ترخيصها له بالسفر وتندبهُ وتعدّدهُ وتجمع حولها نساء القرية فيعزّينها فتأبى ان تتعزّى لخسارة فلذة كبدها

واستمرّ فاضل جالساً على ظهر السفينة حتى نصف الليل وهو في زفير وشهيق من جراء تذكار والدته

وكانت قد هبّت الريح في بادئ الامر ضعيفة ثم اشتدّت وعصفت في وسط الظلمة سيوف البرق وقصف الرعد وثارت الامواج واخذت السفينة تصعد جبلاً وتنزل في وادٍ. فحينئذٍ خاف الركاب خوفاً عظيماً واجتمعوا بجاول الاجل وتضرّعوا الى الله من اعماق القلب ان يصرف عنهم هذه الشدّة وتعاظم عويل النساء وصراخ الاطفال. ومع ذلك كانت الريح تشتدّ هبوباً وامواج البحر غلياناً وفوراناً حتى تمزّقت الخيمة التي كانت تظلّل فاضل ورفقاءهُ وانكسر قسم من الدرابزين فسمع لانكساره صوت هائل.

واستمرَّت العاصفة يوماً كاملاً فلمَّا هدأت قليلاً عاد فاضل الى رشدهِ بعد ان كان الخوف قد بلبل دماغهُ والتفت الى الصندوقة التي كان قد ملأها بضائع من بيروت فلم يرَها لأنها سقطت في البحر بسقوط الدرابزين الذي كانت موضوعة الى جانبهِ. فشكا امرهُ الى الرُّبان فاجابهُ ان الشركات ليست مسؤُولة فيما يقع من الحوادث بالبحر ولقد اخطأتَ في وضع صندوقتك حيث وضعتَها. ففاضت عينا فاضل بالدمع فتركهُ الرُّبان ومضى وهو يهزّ كتفيهِ استهزاء

فلمَّا رأى هذا اللبناني المسكين ان لا دواء لمصابه تجلَّد وقال في نفسهِ لا بُدَّ من الصبر على مضض الايام ومن كان صاحب عقل وتمييز يجد من الشدَّة مخرجاً وفي البلاء فرجاً ولكم وقع غيري في ما وقعتُ بهِ فلم يقنطوا ولم ييأسوا

ثم تمدَّد على ظهر الباخرة بين الصندوقين اللتين بقيتا لهُ ونام تلك الليلة نوماً ثقيلاً ومزعجاً وتكاثرت عليهِ الاحلام فرأى والدتهُ وشقيقتهُ وردة لابستين ثياب الحداد وجالستين وحدهما في البيت وهما تناديانهِ باسمهِ وتندبانه. فبينما هو يهمّ بمجاوبتهما افاق واذا بهِ لم يزل على ظهر السفينة الذاهبة الى بلاد نائية وجهات سحيقة لا يعرفها

ولمَّا طلع صباح السبت بانت سواحل فرنسة بعد ان كانت الباخرة قد دارت حول كورسيكا اجتناباً للمرور في مضيق بونيفاسيو فاهتزَّت افئدة النوتية فرحاً وخفقت تهلّلاً. غير ان فاضل لم يتأثر من ذلك المشهد اصلاً لاسيَّما وان اسامي تلك السواحل مثل كانّ (Cannes) وهيير (Hyères) وطولون كانت غريبة على أذنيهِ ومع ذلك لحينما ارشكت الباخرة ان تصل شعر بتجدّد الحياة والرجاء في قلبهِ (ستأتي البقية)

شَذَرَات

نبات كالشاي

روى البشير عن الكوكب العثماني انَّ حضرة صاحب الدولة شاكر باشا مفتّش عموم الاناضول واحد الياوران الفخام اكتشف عشباً رآهُ في ضواحي الاناضول باحدى غابات توقات يُشبه الشاي منظرًا ولهُ خواصّ جمّة فضلاً عن انهُ مقوٍّ كثير الاغذاء. فارسل بكميَّةٍ منهُ الى نظارة الغابات والمعادن الجليلة لاجل تحليلهِ والوقوف على موادّهِ حتى اذا

ظهر من نتيجة التحليل فائدة في خواصهِ ومنفعة في مزاياها يُهمّ بزرعهِ وتكثيرهِ

تمييز الخمر الصافية

ان اردت ان تمتحن الخمر لتعرف أصافيةٌ هي ام ممزوجة بالماء فخذ أسلةً ناشفة وألقها على الخمر فان زيد على الخمر ماء غَلُظ جرم الاسلة وامتدَّ والّا فبقيت كما هي

وربما امتُحنت الخمر بالقاء شيء من ثمر التوت فيها فان طفا التوت فالخمر جيدة صرفة وان غاصت فانها مقترنة بالماء

الاسنان الصناعية في قدم الاجيال

قد ظنَّ المحدثون ان تركيب الاسنان الصناعية من اجلِّ اكتشافات العصر لانَّ بها يحافظ المرء على صحة معدتهِ ولذلك يقول المثل الاميركي «من يفقد سناً من فكهِ قد فقد سنة من عمرهِ». الّا انَّ هذا الفنَّ العجيب اعني التعويض عن الاسنان المفقودة كان القدماء قد سبقوا اليهِ اهلَ زماننا. ومن جملة ما وُجد في توابيت الموتى المصريين عددٌ لا يُحصى من الاسنان الصناعية ومن شاهد في متحف الجيزة موميا بعض المصريين يجد فكوكهم منضَّدة بالاضراس الصناعية المجهَّزة بأجهزة الذهب. وكذلك قد اكتشف العلّامة الايطالي بلزوني في قبور قدماء سكان ايطالية المعروفين بالاتروسك اسناناً مصنوعةً من خشب الجمَّيز كان يركّبها حكماء الاسنان في الفم ويمكّنونها بخيوط ذهبيةٍ وذلك قبل المسيح بنحو الف سنة

الميكروفونوغراف

يعرف قرّاؤنا الكرام انَّ الفونوغراف آلة يُرتَمّ فيها الصوت فيُخزَن ويُعاد عند الحاجة فيسمعهُ من كان على مقربةٍ من هذه الآلة ومنذ بضعة اشهر قد اصطنع المسيو دوسُّو معلّم الطبيعيات في كلّية جينا آلة اخرى لتقوية صوت الفونوغراف وتعظيمهِ كما يكبّر المُجهر الصور الدقيقة ويعظّمها. وغاية هذه الآلة اعانة الصمّ على السَّمع. وهي تتركّب من قسمين فالاوَّل عبارة عن اسطوانة افقية تتحرَّك بلولب كلولب الساعة فوقها طلاء من الشمع يتّصل بهِ راسمٌ معدنيّ يحرّكهُ جهازٌ من المغناطيس والكهرباء فيخطّ على الاسطوانة اخف الاصوات والحركات. وقد دعا المسيو دوسُّو هذا القسم من الآلة مقيِّداً (enregistreur). امَّا القسم الثاني فهو المكرِّر (répétiteur) او معيد الصوت يتركّب من اسطوانة ثانية افقية توضع فوق الاولى التي رُقم عليها الصوت وهي متصلة ببطاريةٍ قويَّة من سلفات الزئبق. فاذا سال مجرى الكهرباء انتقل الصوت من الآلة الراقمة الى

غشاء رُكّب فيه راقم مستدير للطرَف مع الكروفون الكرّر. فيبلغ الى اذن السامع بواسطة اسلاكٍ تنتهي بقرنَين سَمعي

حلّ اللغز الاول من اللغزين السابقين

(راجع ص ٨٦١)

قد حلَّهُ بوجه الاجمال جناب ميخائيل افندي المعلّم فكتب « انَّ اللفظة المطلوبة هي المشرق ». واصاحب اللغز حلٌ مطوَّل هذه صورتهُ :

« لنفرض ان الحرف الاول هو ك . وان مجموع حلقات السلسلة م والطرف الاول ب والآخر ت والفضل المشترك ف وعدد الحلقات ع . فلنا حسب الشروط (م + ك)/ك = ك/١٠٠ ومن ذلك م = ك(ك٢ − ١٠٠)/١٠٠ . ثم ان مجموع السلسلة يساوي م = (ب + ت) ع/٢ . وبالجبر والتعويض عن الحروف بما يعادلها بالنظر الى ك حسب شروط المسألة لنا: ك(ك٢ − ١٠٠)/١٠٠ = ١٠ك (ك/١٠ − ١)/٢ . وبالجبر والحل لنا : ك = ٢٥ ± √(٦٢٥ − ٤٠٠) = ٤٠ ومن ذلك ينتج :

م = ٤٠(٤٠٢ − ١٠٠)/١٠٠ = ٦٠٠

ع = (٤٠/١٠ − ١) = ٣

ف = (ب − ت)/(ع − ١) = (ب − ت)/٢ لان السلسلة نازلة . وبما ان ت = ف فلنا: ت = (ب − ت)/٢ . او ب = ٣ت . وبما ان ب + ت = ١٠ ك = ٤٠٠ حسب شروط المسألة فلنا: ٣ ت

+ ت = ١٠٠ وكذلك ف = ١٠٠ لان ف = ت

فاصول المسألة هي اذاً

ك = ٤٠ = حرف م

طرف اول = ب = ٣ت = ٣٠٠ حرف ش

حلقة ثانية = ب − ف = ٢٠٠ حرف ر (لان السلسلة نازلة)

طرف آخر = ت = ١٠٠ حرف ق

فاللفظة المطلوبة هي اذاً : « مشرق »

وسنأتي مرَّة أخرى بحلّ اللغز الثاني. وقد اصلح صاحبهُ قولهُ سابقًا (ص ٨٦١ س١٣) «لسنةٍ واحدةٍ» بقولهِ «لسنتين»

طيبة (الاقصر) وطيبة اليونان

قد ورد في الصفحة ٨٣٤ من العدد السابق ان طيبة حيث كان هيكل الالهة ميترة هي الاقصر. والصواب ان طيبة هذه من مدن اليونان المعروفة. امَّا طيبة مصر او ثيبة فان معبودها كان الاله عَمون وهي المعروفة بالاقصر

أسئلة وأجوبة

س سألنا بعض كهنة بيروت الافاضل: ١ً في ايّ زمان نقل الموارنة الكتاب المقدَّس الى العربية وهل يُعرف صاحب هذه الترجمة او مصحّحوها وهل نُقلت كلها الى العربية في وقت واحد او قسمًا بعد آخر. ٢ً ماذا يفهم قدماء العرب بالشاعر المطبوع وهل كانوا يدعون الشاعر غير المطبوع باسم خصوصيّ ونرجوكم ان تذكروا لنا اسماء بعض الشعراء المطبوعين وهل يُعدّ الاخطل مثلًا من الشعراء المطبوعين

تعريب الموارنة للكتاب المقدَّس

ج ان اوَّل من ترجم الكتاب المقدَّس بتمامهِ الى العربية هو العالم الفاضل سركيس الرزّي مطران دمشق تلبية الى دعاء اساقفة كنيسته وكانوا طلبوا ذلك بالحاح الى البابا اوربانوس الثامن. فعهد سيّد الاحبار هذا الامر المهمّ الى المطران سركيس المذكور فباشر بهِ سنة ١٦٢٥ فعرَّبهُ بمساعدة بعض العلماء واللاهوتيين. وقد تمَّ طبع هذه الترجمة في رومية العظمى سنة ١٦٧١ وهي بثلاثة مجلدات على حقلين تصحبها الترجمة اللاتينية المعروفة بالعامَّة وفي هذه الترجمة اغلاط كثيرة نبَّه على بعضها اصحاب الانتقاد

. هذا ولا نشكُّ انَّ قبل ذلك كان لدى الموارنة بعض تراجم قديمة عربيَّة من الكتاب المقدَّس يستعينون بها في كنائسهم لاسيَّما الزبور الالهي ولكن لا نظنُّ انَّ معرّبيها موارنة

الشاعر المطبوع

ج يفهم قدماء العرب بالشاعر المطبوع من كان يقول الشعر عفوًا بلا عناء كأنَّ شعرهُ تأتي بهِ الطبيعة عن غريزة فيهِ ثابتة لا يحتاج الى إعمال الفكر الطويل في ذلك. وكما

وصفوا الشاعر بالمطبوع فانهم نعتوا ايضًا بهذه الصفة الشعر الذي لا تكلّف فيهِ ولا تمَلّ فتجد لهُ النفس هزّة وجلبة من قوّة طبعه. وقد وضع ابن الرشيق في كتاب العمدة بابًا في هذا الشأن نقلناهُ عنهُ في مقالات علم الادب (الجزء الثاني ص ٣٢١) فليراجع. امَّا عكس المطبوع فهو المصنوع كما يُستدلّ على ذلك من الكتاب المذكور الّا انهم لم ينعتوا بهِ الّا الشعر لا صاحبهُ فلا يقولون شاعر مصنوع بل متصنّع او متكلّف. وربما ارادوا بالشعر المصنوع الذي نسبهُ الرواة زورًا الى بعض فحول الشعراء. والشعراء الذين استحقّوا بين العرب ان يُدعَوا بالمطبوعين كثيرون منهم الاعشى والخنساء في الجاهلية ومنهم بشّار وابو العتاهية في ايّام العبّاسيين ومنهم المتنبيّ في قسم كبير من قصائده وبهاء الدين زهير. امَّا الاخطل فمع علوّ مقامهِ في شعرهِ وتبريزهِ على الفرزدق وجرير في المديح والوصف لم نجد احدًا من الاقدمين ينعتهُ بالمطبوع. ولا يبخس ذلك من حقّهِ شيئًا فانّ الشعر المطبوع مع قلّة كلفتهِ ربّما شانتهُ عيوب كالهجنة والركاكة والإسهاب الى غير ذلك من التناقض والخلل

س وسألنا احد الادباء ما هو سبب تقصيف الشعر وما هي الوسيلة لمنع تقصيف الشعر وعلاجهُ

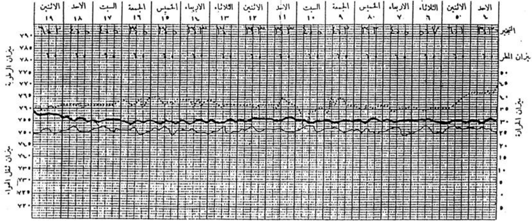
ج انَّ سبب تقصيف الشعر عمومًا ضعف في البنية او امراض جلديَّة تضعف لذلك الغدد التي منها ينبت الشعر ولا تكفي لتغذوهُ غذاءً تامًّا فيتقصَّف. امَّا علاج هذا الداء فيكون اجمالًا بتقوية الجسم فانَّ كلَّ ما من شأنهِ ان يقوّي الجسم يقوي الشعر ايضًا. وقد وصف الاطباء وصفات كثيرة لتقوية الشعر كالدَّهن بالذرّاح او القَمل بمزيج من ماء كولونية وماء الورد او شُرب زيت السمك. والأَولى ان يستشير صاحب هذا الداء طبيبًا ماهرًا فيصف لهُ دواءً مناسبًا لاعراض المرض

س سألنا جناب الفاضل الاديب صيرفي زاده رشيد غازي ما هو مرض الرَّبو وما هو احسن وافيد علاج لهُ وكيف تركيبهُ واستعمالهُ حسب الآراء الحديثة

علة الربو

ج الرَّبو علَّة ينشأ عنها عسر التنفُّس يدعوهُ الفرنج (asthme) امَّا اسبابهُ واعراضهُ وكيفية علاجهِ فقد كتب فيها الدكتور دي برون احد اساتذة مكتبنا الطبي مقالة مفيدة مطوَّلة في كتابهِ الخلاصة الطبيَّة المطبوع في مطبعتنا سنة ١٨٨٨ (ص١٩٣ — ٢٠٥) فلتراجع هناك

قائمة للآثار الجوّية من ٤ الى ٢٥ ايلول ١٨٩٨



انّ الخطّ الضخم (——) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخط الرفيع المتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) – امّا الخطّ المنقّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملمترات وعُشر الملمترات